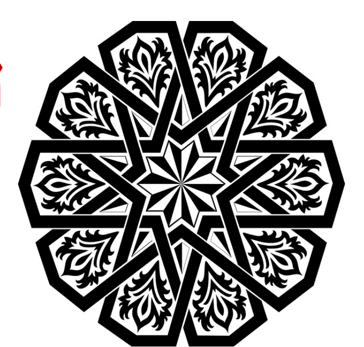


تمييز المشكل وبيان المعضل في مدح التصوف وزهاد الصوفية

عرض ودراسة

إعداد
د. المليح بن عبد الله بن عبد العزيز الكشان
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

موجز عن البحث

هذه دراسة عن المسائل المشكلة في مدح التصوف وزهاد الصوفية وبيانها، وتوجيه الأقوال المنسوبة لأهل العلم والتي هي شبه عند الصوفية؛ ومعضلة على العامة وغيرهم تحتاج إلى بيان، لا سيما وأن السنة النبوية فيها نصوص صريحة في منع الغلو في التعبد والزهد الذي هو أصل التصوف؛ ولا بد من رد أدلة الصوفية التي استدلوا بها على تصوفهم.

وفي البحث دراسة عن المشكل في تعريف التصوف والصوفية، من تضمين المدح في نسبة التصوف واشتقاقه، وفي كثرة الأقوال المنقولة في تعريف التصوف، وحيث لا يوجد تحرير للمنقول من تعاريف الصوفية وأقوالهم ونقدها في بعض الأحيان وهي توحي بمدح الصوف، وعدم التفريق بين التصوف والمصطلحات الشرعية، ووجود مزايدة وغلو في بيان حقيقتها عند الصوفية.

وبيان المسائل المشكلة في مدح التصوف، كأسباب مدح التصوف، والتي ترجع إلى تعبدهم وزهدهم أو لصحة معتقد بعض الزهاد منهم، وأيضـًا سيتطرق البحث إلى ذكر الأقوال المنقولة عن الأئمة في مدح التصوف، وبيان مدى صحتها وثبوتها وتوجيهها،

والكلام عن نسبة الصوفية لأهل السنة وتقسيم التصوف إلى سني وبدعي والقول بالتصوف الإسلامي.

وفي ختام البحث دراسة عن المشكل في مدح زهاد الصوفية، حيث يزعم الصوفية أن كل الزهاد متصوفة، وأدخلوا في التصوف الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الصالحين، كما أن هناك شبه في مدح علماء أهل السنة للزهاد، وغالبًا ما يمدح زهاد الصوفية الذين وافقوا أهل السنة في العقيدة دون نقد طرقيتهم في السلوك والتعبد، كما أن في إطلاق المدح على الصوفية والزهاد مدح للملاحدة المنتسبين للتصوف، ولعقائدهم الباطلة، وشطحاتهم الكفرية، وتدليس من الصوفية المعاصرين في مدح طرقهم والتأصيل لها.

الكلمات المفتاحية : تمييز – المشكل – المعضل – مدح – التصوف – الصوفية

والله المستعان،،

وصلى الله وسلم على البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين

Distinguishing the Problem and Explaining the Dilemma in Praising Sufism and Sufi Sufism

(Presentation and Study)

Elkeshan Almaleh Bin Abdallah Bin AbdElazez

Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh

Saudi Arabia

Email of corresponding author : Dr.elkeshanbinabdallah@imamu.edu.sa

Abstract :

This study on the issues in praising Sufism and quiet Sufism and its statement، and directing the words attributed to the scholars and must be the reaction of Sufism، which they drew on their Sufism.

In the study of the problem in the definition of Sufism and wool، from under the view of Sufism and its derivatives، and in the many words quoted in the definition of Sufism، and where there is no liberation of the house from the definitions of Sufism and their words and criticism sometimes we suggest the praise of wool، and not to differentiate between Sufism and legal terminology، Bid and exaggeration in the statement of its truth when Sufism.

And the reasons for praise of Sufism، and the reasons for their worship and asceticism or health with the time of them، and to search for the views of the views transmitted in the imams to Sunni and Bedouin and say Islamic Sufism.

At the end of the search for unknown in the praise of Witnesses Sufism، where he visits Sufism that all the Sufis، and confused in Sufism and companions and may Allah be pleased with them and other righteous، and there is in the semi-praise scholars Ahl al-Sunnah for marriage، forget what praises and approved the Sunnis in the doctrine، In the proponents of shooting on Sufism and Zakah.

Allah is the helper ,,

And prayers and blessings be upon missionary، the warned، the messenger، and he is a mercy to the worlds,,

Keywords: discrimination - problem - dilemma - praise - mysticism - Sufism

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلِّم تسليماً .. قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

أما بعد: فإن كثيراً من المنتسبين إلى التصوف –في هذا الزمان–؛ جعلوا من ثناء العلماء على الزهد والسلوك والتعبد الموافق للسنة، وعلى زهاد الصوفية، وما عندهم من الزهد والعبادة والتصوف شبهة، ليمدحوا بها طرائق الصوفية المبتدعة، وما هم عليه من الباطل؛ كما جرت عادتهم على الانتساب إلى العلماء الأفاضل من السلف والسائرين على نهجهم، أو إدراجهم في قائمة التصوف تغريراً وتضليلاً لعوام الأمة.

ولذا كان من المهم بيان ما يشكل في هذا الموضوع؛ حيث ورد في كتب السلف ثناء

(١) سورة آل عمران : الآية رقم ١٠٢

(٢) سورة النساء : الآية رقم ١

(٣) سورة الأحزاب : الآية رقم ٧٠

على التصوف -ليس مطلقـاً- وثناء على الزهاد العباد، ونقلاً لكلامهم ومقالاتهم وكراماتهم، وهؤلاء الزهاد يعتبرهم الصوفية أنهم أئمتهم، ومنهم أخذوا الطريق وسلكوا التصوف، فعزمت على أن أكتب في بيان ذلك بما عنونته: **"تمييز المشكل وبيان المعضل في مدح التصوف وزهاد الصوفية -عرض ودراسة-"**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- وجود شبهات للصوفية المعاصرين، فيما ذكره علماء أهل السنة والجماعة، في الثناء على التصوف والزهاد من الصوفية.
- خلط الصوفية في توليهم للزهاد العباد، وللملاحدة من المنتسبين للتصوف.
- ضرورة معرفة عقيدة من أثنى عليه أهل السنة والجماعة من زهاد الصوفية.
- كثرة التعاريف الواردة في التصوف والتي توحي بتعظيمه مطلقـاً.
- تضليل الصوفية للعوام بأنهم على نهج الزهاد من العلماء والعُبَّاد.
- عدم التفريق عند كثير من الناس بين الزهد والتعبد وبين التصوف المبتدع.
- مدح أهل السنة في كتب التراجم -على وجه الخصوص- لبعض الصوفية، ومدحهم مشكل لوجود ملاحظات عليهم.
- الحاجة إلى بيان العقائد والشبهات الباطلة التي ينشرها أهل التصوف.

مشكلة البحث:

مشكلة البحث تظهر في هذه الأسئلة: هل التصوف شيء زائد على الإسلام أم هو داخل فيه؟ فإن كان الأول فلا حاجة إليه. وإن كان الثاني فلا حاجة لمسماه.

وهل التصوف يمدح مطلقـاً أو يذم مطلقـاً؟

وهل طريقة الزهاد من الصوفية صحيحة؟

وهل الصوفية اليوم هم على ما كان أولئك الزهاد العُبَّاد؟.

أهداف البحث:

١. توجيه أقوال أهل العلم الذين أثنوا على زهاد الصوفية والتصوف.

٢. بيان عقيدة الزهاد العُبَّاد من الصوفية الأوائل، وما يشكل من إطلاق المدح عليهم.

٣. الرد على شبهات الصوفية المعاصرين.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة في الصوفية كثيرة، والتي لها صلة بالموضوع هي التي تتناول الكلام عن الأولياء والكرامات وخوارق العادات، يتعلق بعلم العقيدة، ولم أقف على رسالة علمية، تربط هذه الخوارق والاعتقادات بالمجانين والبله والدراويش، وأهم ما كتب حول الموضوع:

١. الزهد والتصوف بين المؤيدين والمعارضين، للباحثة زينب بنت محمد الحربي، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، وهي رسالة قيمة تناولت الزهد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم ومن بعد من التابعين، والتصوف بين الحقيقة والواقع، والتصوف في الميزان، وأقرب ما في بحثها رأي مؤيدي التصوف ومعارضيه، لكنه يختلف عن هذا الموضوع إذ لا يتناول صريح رأي المؤيدين، وإنما نقل الأقوال التي يزعم الصوفية أن فيها مدح للتصوف، وهو أعم في رد كل ما يشكل في مدح التصوف من تعاريف ومصطلحات ورجال.

٢. موضوع التصوف، د. لطف الله خوجة، جامعة أم القرى، سلسلة البحوث المحكمة، صوفية حضرموت.

أشار الباحث إلى جزئية تتعلق بالموضوع، وهي وجهة نظر أهل العلم في تقسيم التصوف وفي أصل مصدره، ثم ذكر عناوين عن نسبة التصوف والتصوف والخلق

وموضوع التصوف، والمقارنة بين التصوف والفلسفة واتهام أئمة الصوفية. ولم يذكر أقوال الأئمة في الثناء الزهاد والتصوف، فلا يوجد تقاطع بين الموضوعين.

٣. موقف ابن تيمية من التصوف، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٩هـ. والرسالة مخصوصة بعلم له شأنه وقدره عند أهل السنة والجماعة وموقفه جزء مما نحن بصدده، وتوجيه قوله في مدح زهاد الصوفية يحتاج إلى وقفات.

٤. مناهج الزهد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، السيد إبراهيم أحمد، بحث منشور على شبكة الألوكة. ولا يتقاطع مع البحث إلا في تناول جزئية يسيرة وهي مصطلح الزهد.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي لكتب أهل السنة والجماعة؛ التي تناولت الكلام عن الصوفية أو أعلامهم بالمدح والثناء، ثم المنهج التحليلي، بدراسة وصفية ونقدية على ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف، موجهـاً ما يمكن توجيهه مما ورد في ثناء أعلام أهل السنة والجماعة على التصوف والصوفية والزهاد، ناقداً للشبهات المتعلقة بالموضوع -إن شاء الله تعالى.

وأتبع في المنهج أيضـاً:

- عزو الآيات في البحث، برسم مصحف الإمام، مبينـاً اسم السورة ورقم الآية.
- عزو الأحاديث إلى مصادرها، وبيان حكم أهل العلم على ما لم يصح منها.
- نقل الأقوال من مصادرها الأصلية.
- الترجمة للأعلام الواردة في البحث عدا الصحابة رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة

وأصحاب الكتب الستة.

وخاتمة بموجز البحث وأهم نتائجه.

وفهرس للمصادر والمراجع.

وفهرس للموضوعات.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وسبعة مطالب، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهدفه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث والخطة، وملخص للبحث.

التمهيد: التصوف بين تأصيله ورده في السنة النبوية.

أولاً: نقد التصوف من خلال نصوص السنة النبوية أو منع ظاهرة التصوف في السنة.

ثانيًا: استدلال الصوفية للتصوف من السنة النبوية.

المبحث الأول: بيان المشكل في تعريف التصوف والصوفية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تضمين المدح في نسبة التصوف واشتقاقه.

المطلب الثاني: المشكل في كثرة الأقوال المنقولة في تعريف التصوف.

المطلب الثالث: عدم التفريق بين مصطلح التصوف والمصطلحات الشرعية.

المبحث الثاني: **بيان المسائل المشكلة في مدح التصوف. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أسباب مدح التصوف.

المطلب الثاني: الأقوال المنقولة عن الأئمة في مدح التصوف.

المطلب الثالث: نسبة الصوفية لأهل السنة.

المبحث الثالث: بيان المشكل في مدح زهاد الصوفية. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: زعم الصوفية أن كل الزهاد متصوفة.

المطلب الثاني: شبه الصوفية في مدح علماء أهل السنة للزهاد.

المطلب الثالث: عدم التفريق بين زهاد الصوفية الأوائل والملاحدة المنتسبين للتصوف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

التصوف بين تأصيله ورده في السنة النبوية

إذا أردنا أن نعرض التصوف على السنة النبوية، من حيث أصله وبيان موقف السنة منه؛ وهل له أصل أو دليل؟ سواء في مدحه أو ذمه.

إن الواقع الذي جرت عليه الفرق الإسلامية والطوائف المنحرفة؛ أن يفروا مما ورد فيهم من أحاديث تذمهم أو تذم المنهج الذي هم عليه، كما أنهم يستدلون بأحاديث على أنها فيهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه -رضوان الله عليهم- سلكوا الطريق الذي هم فيه.

وفي السنة النبوية على بيان شافٍ لواقع حال الأمة وما سيكون فيها من اختلاف وافتراق.

الإشارة إلى ظهور بعض الفرق في السنة النبوية:

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى اختلاف الأمة وظهور الفرق الهالكة وبيَّن الفرقة الناجية، وأن العصمة من الافتراق تكون بالتمسك بالكتاب والسنة، فعند أهل السنن من حديث الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ - رضي الله عنه - يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ فَقَالَ: (**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلاَفًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**)[1].

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، حديث رقم ٢٦٧٦، (٥/ ٤٤). وأخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان، حديث رقم ٤٢، (١/ ١٥).

كما أشار إلى فرق وطوائف بعينها، وما يكون منها من مخالفات، مثل الخوارج كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: (بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ[1] لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-. فَقَالَ: (**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**). قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الإِزَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اتَّقِ اللهَ. فَقَالَ: (**وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ**). قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ فَقَالَ: (**لاَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**). قَالَ: خَالِدٌ وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: (**إِنِّى لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**). قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: (**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ** - قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: (**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**)[2].

(1) الأديم المقروظ: هو الجلد المدبوغ بالقَرَظ وهو ورَق السَّلَم وقد قَرَظه يَقْرِظه. الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، الفائق في غريب الحديث، (٣/ ١٧٣)، وابن الأثير، أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/ ٦٩).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد، حديث رقم ٤٣٥١، (٥/ ٢٠٧)، وأخرجه: مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم ١٠٦٤، (٢/ ٧٤١).

فهذا أصل في ذكر الخوارج ونشأتهم، وفي السنة أحاديث متفرقة عن الفرق عمومـًا؛ مثل حديث الافتراق، وعن بعض الفرق بإشارات إليها.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن؛ هل في السنة النبوية ذكر للتصوف، وأحاديث تذم ما عندهم من غلو وباطل؟

منع ظاهرة التصوف في السنة النبوية:

وردت أحاديث فيها نهي عن الغلو؛ وهي تتعلق بالصوفية، وتشير إلى ذم الطريق الذي سلكوه، وفيها دلالة واضحة لما سيكون من أهل التصوف، منها:

- ما جاء في الصحيحين –أيضـًا–: من حديث أنس بن مالك، –رضي الله عنه–، يقول: (جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ، وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ؛ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)[1].

دلالة الحديث على إنكار ما عند الصوفية من وجوه:

الوجه الأول: قول الراوي: (كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا)، بتشديد اللام المضمومة أي: استقلوها،

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم، ٥٠٦٣، (٧/ ٢).
وأخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب استحباب لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، حديث رقم ١٤٠١، (٢/ ١٠٢٠).

وأصل تقالوها تقاللوها، أي: رأى كل منهم أنها قليلة[1]. وهو ما فهمه الراوي من قولهم.

وهذا في التصوف موجود في بابين:

– **الأول**: في البدع؛ حيث يرون جوازها، وأن النبي صلى الله عليه سلم لم يفعل كل العبادات من المندوبات. وأن ما تركه وما لم يفعله من العبادات، لا يدل على المنع[2].

وقد رد علماء أهل السنة والجماعة على من جوَّز البدع، ورد الأحاديث الصحيحة التي حذرت منها، كما ردوا على هذه المسألة على وجه الخصوص[3].

– **والثاني**: في الولاية، إذ يعتقد المتصوفة أن الولي يمكن أن يجتهد في التعبد، وأن يبالغ الإنسان في ذلك ولو بتعذيب النفس وتجويعها، وتحميلها ما لا تطيق من المشقة؛ فيصل إلى مراتب أعلى مما وصلت إليه الأنبياء عليهم السلام؛ فكان اعتقادهم الباطل بتفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام، وأصل هذا الاعتقاد منتشر في كتب أقطاب الصوفية الغلاة وأقوالهم.

قال الغزالي[4] –رحمه الله وغفر له– في كلامه عن الرياضة: "ففي مثل هذه الحالة

---

(١) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ١٠٥).

(٢) انظر: الغماري، حسن التفهم والدرك لمسألة الترك، حيث ذكر في بيان الترك بقوله: "أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا لم يفعله، أو يتركه السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهي عن ذلك الشيء المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته". (ص٩). فهذا حقيقة (تقالوها) في قولهم، وأما في فعلهم فإنهم أحدثوا البدع، وكأن صاحب البدعة أراد أن يزيد على ما جاء به الشرع! وهذا المعنى مذكور في تعريف البدعة ومضاهاتها للشريعة.

(٣) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٢٨٠)، والإمام الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق القول في علم الأصول، (١/ ١١٩)، والشيخ عبد الله الفوزان، خلاصة الأصول، (١/ ٣).

(٤) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد زين الدين الغزالي الطوسي، الشافعي، الملقب بحجة الإسلام، لزم إمام الحرمين، وأقبل على علم الأصول وصنف فيها، وفي المذهب، والخلاف، وعظمت حشمته ببغداد، وصنف "المستصفى" و"إحياء علوم الدين". توفي سنة ٥٠٥هـ. وفيات الأعيان، (٤/ ٢١٦)، وسير أعلام النبلاء، (١٩/ ٣٢١).

يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية"[١].

قال ابن الجوزي[٢] -رحمه الله-: "قلت: انظر إلى هذه الترتيبات، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم! ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق، وأن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة، وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم؛ فإنه يغلب عليه الماليخوليا[٣]"[٤].

قال أبو يزيد البسطامي[٥]: (خضت "خضنا" بحراً وقف الأنبياء بساحله)[٦].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/ ٧٦).

(٢) ابن الجوزي: أبو الفرج شيخ الإسلام مفخر العراق جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف، منها زاد المسير في التفسير والمنتظم، ت٥٩٧هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/ ١٤٠)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢/ ٢١٩٢).

(٣) المالخوليا: نوع من أنواع الأمراض العقلية السوداوية التي سببها فساد الدم بالاحتراق وانحرافه إلى السوداء. أبو علي مسكويه الأصفهاني، الهوامل والشوامل، (١/ ٢٤٦).

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، (١/ ٣٥٢).

(٥) أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، وقلَّ ما روى، وله كلام نافع. وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، منها ما هو كفر، والشأن في ثبوتها عنه، ٢٦١هـ. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣٥)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/ ٨٦).

(٦) ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، (ص١٥٢). وقد حاول أن يوجه القول على غير معناه الظاهر. ونقل ذلك عنه الشعراني في الطبقات الكبرى، (١/ ٢٣٠). وانظر: إلى قول عبد القادر الجيلي: "معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا". في كتاب الشعراني، الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح، (ص١٢١)، ضمن كتاب أبو يزيد البسطامي المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق وتقديم: قاسم محمد عباس. وفيه نقول عن البسطامي تشيب الولدان والغربان، لا تحتمل التأويل، من ذلك قوله: "تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد صلى الله عليه وسلم لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين" انظر: (ص٤٨).

وقال ابن عربي[1]: "فاعلم أن الولاية هي الفلك الأقصى"، ثم ذكر كلاماً في معنى ذلك فقال: "ومن وجوهها دوائر نبوات التشريع والرسالة، والنبوة المطلقة اللازمة للولاية وهي نبوة لا تشريع فيها"[2].

وقال أيضاً: "ولما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم، لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلي لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه"[3].

ثم جلب كلاماً يتزحزح فيه عن قوله بأن الولاية أعلى من النبوة والرسالة، لا تشفع لسذاجة عقله، فيما وصف به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد أشار الطحاوي[4]-رحمه الله- إلى هذا المعتقد الباطل، بقوله: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[5].

(١) محمد بن علي بن محمد بن أحمد، الطائي الحاتمي المرسي، محي الدين أبو بكر، ابن عربي نزيل دمشق. قال الذهبي ومن أردأ تواليفه كتاب: "الفصوص" فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر. توفي سنة ٦٣٨هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٢٣/ ٤٨)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٧٦).

(٢) ابن عربي، محمد بن علي، التجليات الإلهية، (ص١١٣).

(٣) ابن عربي، فصوص الحكم، فص حكمة قدرية في كلمة عزيرية، (ص١٣٣).

(٤) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحافظ الكبير، محدّث الدِيار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد المَلك الأَزْدِيُّ، الحَجْرِيُّ، الطحاويُّ، الحنفيُّ، من قرية طَحَا في مصر. من تصانيفه (اخْتِلاَف العُلَمَاء)، و(الشّروط)، و(مَعَانِي الآثَار)، ومات سنة ٣٢١هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٧١)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٢٩).

(٥) الطحاوي، متن العقيدة الطحاوية، (ص٥٨).

وبيَّن ابن أبي العز[1] -رحمه الله- أسباب هذا المعتقد وهو الشاهد في محاولة الصوفية الزيادة على الشرع، فقال: "يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة ... ثم قال: وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!"[2].

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث؛ إذ كيف يُثنى على من هذا حالهم واعتقادهم؟

ولو قيل بأن هذا قول المتصوفة الملاحدة! يبقى هناك إشكالان:

الأول: في إطلاق مدح التصوف.

والثاني: أن الصوفية المعاصرين -أكثرهم- يمدحون أمثال ابن عربي ومن هم على شاكلته، ويخرجون ما قالوا من باب الشطح، أو أن الناس لا يفهمون مقصودهم ومرادهم.

الوجه الثاني: أن الحديث دلَّ على النهي عن المبالغة في التعبد، وهذا أصل كبير عند أهل التصوف، ومعلوم أنه لا إشكال في الاجتهاد في التعبد إلا إذا خرج إلى نطاق البدع والمحدثات، أو خرج مخرج المشقة على النفس وكلاهما موجود عند غالب الصوفية، وهو ما ورد في الحديث: (**قَالَ: أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ، وَلاَ أُفْطِرُ**). وهذا يوجد عندهم إلى يومنا هذا سواء كان زعماً أو حقيقة! فمنهم

---

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي. له كتب، منها: "التنبيه على مشكلات الهداية". توفي سنة ٧٩٢هـ. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، (٦/ ٣٢٥)، الزركلي، الأعلام، (٤/ ٣١٢) .

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (١/ ٤٩٢).

يتسمى بالصائم ديمة؛ ومنهم من لا يستظل بظل، ومن يذكر الله حتى يخر مغشياً عليه ومن يجلس الليل كله يسبح، وأما البدع فحدث وعدد إن استطعت.

الوجه الثالث: المبالغة في الزهد والتقشف، والذي له ارتباط بتسمية الصوفية وإن فروا من ذلك لبس الصوف، وحتى في تعاريفهم له نوع من المبالغة.

والزهد في الدنيا ويكون بالتقلل منها. أما الإعراض عنها بالكلية وعدم العمل فليس ذاك من الإسلام في شيء. وأصل الزهد في السنة حديث عبد الله بن عمر، -رضي الله عنهما-، قال: (**أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)[١].

قال ابن بطال[٢] -رحمه الله-: "وهذا يدل على إيثار الزهد فى الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن فى الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل"[٣].

فهذا الحد مضبوط في معنى الزهد، وسئل الإمام مالك -رحمه الله- عن الزهد في الدنيا؟ قال: طيب الكسب، وقصر الأمل"[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، حديث رقم ٦٤١٦، (٨/ ١١٠).

(٢) العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري، القرطبي، ويعرف بابن اللجام، عني بالحديث العناية التامة، شرح "الصحيح". توفي سنة ٤٤٩هـ. سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٤٧). الوافي بالوفيات، (٦/ ٣٨٥).

(٣) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، (١٠/ ١٤٩).

(٤) البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، شرح السنة، (١٤/ ٢٣٣).

وذكر ابن عبد البر[1] –رحمه الله– بعد أثر عن مالك –رحمه الله–: "أنه بلغه أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: إني لأحب أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب". فقال: "هذا الحديث يدل على أن الزهد في الدنيا والعبادة ليس بلباس الخشن الوسخ من الثياب؛ فإن الله تعالى جميل يحب الجمال وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة"[2].

ما يترتب على الغلو في الزهد عند الصوفية:

الأول: المشقة على النفس. كلبس الصوفية الخشن، وتعمد الفقر والجوع، وغير ذلك.

الثاني: ترك الحلال تعبداً. وهو من أصناف البدع، كما دل عليه الحديث؛ فترك الزواج خلاف السنة، وهو صنيع الرهبان[3].

---

(١) الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، وسارت بتصانيفه الركبان، كتب التمهيد في شرح الموطأ ثم صنع "الاستذكار لمذهب علماء الأمصار" و"الاستيعاب في أسماء الصحابة"، وغير ذلك. سنة ٤٦٣هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٦٦)، والذهبي، سير الأعلام، (١٨/ ١٥٣).

(٢) ابن عبد البر، الاستذكار، (٨/ ٢٩٧).

(٣) وفي المعجم الكبير عند الطبراني، قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْبِدْعَةِ، أَلا وَإِنَّ أَقْوَامًا ابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، أَلا فَكُلُوا اللَّحْمَ، وَائْتُوا النِّسَاءَ، وَصُومُوا، وَأَفْطِرُوا، وَصَلُّوا، وَنَامُوا، فَإِنِّي بِذَلِكَ أُمِرْتُ**). أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٧٦١٧، (٧/ ١٨٧). وأخرجه: الدارمي في السنن –بلفظ قريب–، باب النهي عن التبتل، حديث رقم ٢١٦٩، (٢/ ١٧٩). قال الهيثمي: "رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف". الهيثمي، مجمع الزوائد، (٤/ ٣٤٩). وحديث الدارمي صححه الألباني وهو في قصة عثمان بن مظعون رضي الله عنه. انظر: الألباني السلسلة الصحيحة، (١/ ٣٩٣).

وهذان من المعنى الظاهر للحديث؛ قال أبو العباس القرطبي[1]: "فهؤلاء القوم حَصَلَ عندهم أنَّ الانقطاعَ عن ملاذِّ الدُّنيا من النساء والطَّيِّب من الطَّعام والنوم، والتَّفرغ لاستغراق الأزمان بالعبادات أولى، فلما سألوا عن عمل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعبادته، ولم يدركوا من عبادته ما وقع لهم: أَبْدَوْا فارقًا بينهم وبين النبي –صلى الله عليه وسلم–: بأنَّه مغفورٌ له. ثمَّ أخبر كلّ واحد منهم بما عَزَمَ على فعله، فلما بلغ ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– أجابهم ببيان المعنى الفارق بقوله: (إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّه)؛ وتَقْرِيرُ ذلك: إني وإن كنت مغفورًا لي فخشية الله وخوفه يحملني على الاجتهاد وملازمة العباد، ولكن طريق العبادة ما أنا عليه، فمن رغب عنه وتركه؛ فليس على طريقي في العبادة"[2].

الثالث: ترك العمل والكسب. وهذا مما يتضمنه المعنى؛ فإن كثيراً ممن يفرغ نفسه للعبادة والزهد يترك العمل والكسب ويرى أن ذلك من الانشغال بالدنيا، وهو حال الدراويش، ومن ينقطع في الزوايا أو يسرح سائحًا في البراري والبلدان.

الوجه الرابع: تحريم البدع في قوله صلى الله عليه وسلم: **(فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي)**، وهذا تأكيد على بعض ما سبق.

(١) أبو العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري المالكي الشاهد نزيل الإسكندرية، كان من كبار الأئمة ولد سنة ٥٧٨هـ وسمع بالمغرب من جماعة واختصر الصحيحين وصنف كتاب المفهم في شرح مختصر مسلم، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٢١٣)، والتلمساني، نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب، (٢/ ٦١٥).

(٢) أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، (١٢/ ١٢١).

قال الحافظ ابن حجر[1] –رحمه الله–: "المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد"[2].

وعليه نلخص إلى القول: بأن الزهد الذي يزعمه المتصوفة والتعبد الذي يفعلونه، لو كان موافقاً للسنة! فما وجه النهي الوارد في الحديث؟ أليس ما أراده هؤلاء النفر الكريم من الصحابة رضي الله عنهم، هو ما ينادي إليه الصوفية! ثم لو كان التصوف تعبداً صافياً! لماذا احتاج إلى أن يشق طريقاً غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم؟

هل يريد الصوفية أن يكونوا أزهد من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم؟

الأحاديث في ذم الغلو، وفيها إشارة إلى ما سيقع من الصوفية وغيرهم:

- ومن الأحاديث التي فيها إشارة إلى التصوف: النهي عن الغلو في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، والغلو في الصالحين وأهل القبور، والتحذير من الشرك والنهي عن الإحداث في الدين. فعن عائشة وابن عبَّاس –رضي الله عنهما– قالا: (**لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ وَهْوَ كَذَلِكَ يَقُولُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**)[3].

---

(١) الحافظ ابن حجر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الشهير بابن حجر الكناني، الشهاب العسقلاني الأصل المصري، برع في العلوم وألف وصنف الكثير، وأشهرها "فتح الباري" و"التهذيب" و"تقريبه" و"الإصابة"، توفي سنة ٨٥٢ هـ. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، (٧/ ٢٦٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٩/ ١٠٥).

(٣) أخرجه: البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، رقم ٤٤٤٣، و٤٤٤٤، (٦/ ١٤). وأخرجه: مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم ٥٣١، (١/ ٣٧٧).

- ومنها: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[1].
- ومنها: عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ -رحمه الله- قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه-: (**أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ**)[2].
- ومنها: عن عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**)[3].

فهذه أمثلة لبعض الأحاديث، وما فيها من نهي وتحذير وقع فيه المتصوفة اليوم؛ من الغلو في الصالحين والطواف بالقبور وبناء القباب، وغير ذلك من الشركيات التي عندهم؛ إضافة للبدع المحدثة في دين الله.

وتضمن التحذير من هذه الأمور الإخبار بأنها ستقع من أقوام في الأمة، وهو تحذير ممن يفعل أو يقع منه ذلك، جماعات كانوا أو أفراداً.

وإن كان في الأحاديث التي ذكرنا -غير الحديث الأول- عموميات تشمل فرقاً أخرى وقعت منها هذه المخالفات؛ وهو كما نبهنا على أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار لكل

---

(١) أخرجه: الإمام أحمد، المسند، حديث رقم ٧٣٥٨، (١٢/ ٣١٤). صححه الألباني في أحكام الجنائز، (١/ ٢١٧). ونبه على تضعيف الهيثمي له في مجمع الزوائد حيث اقتصر على أبي يعلى في العزو. انظر: الهيثمي مجمع الزوائد، (٤/ ٦).

(٢) أخرجه: مسلم، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر، حديث رقم ٩٦٩، (٢/ ٦٦٦).

(٣) أخرجه: البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٦٩٧، (٣/ ٢٤١). وأخرجه: مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨، (٣/ ١٣٤٣).

الفرق التي تخالف جماعة المسلمين، وهديه وطريقته ومنهجه صلى الله عليه وسلم.

ثانيـًا: حجج الصوفية من السنة النبوية ونقدها:

يستدل الصوفية على صحة التصوف بأحاديث كثيرة؛ منها ما هو في الصحيحين أو أحدهما لكن الاستدلال به بعيد جداً، ومنها أحاديث ضعيفة وموضوعة لا أصل لها.

وأذكر الأشهر –عندهم– منها:

- **ومن أدلتهم**: حديث جبريل عليه السلام، والشاهد فيه: (**قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ**: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)[1].

ووجه الاستدلال : أن التصوف قائم على كمال المراقبة لله سبحانه وتعالى، وأن الصوفية هم الطائفة المخصوصة بهذه المرتبة.

وفي عوارف المعارف: "والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الإحسان، فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل أرجائه وجوانبه، لأن القلب يبيض بعضه بنور الإسلام، وبعضه بنور الإيمان، وكله بنور الإحسان والإيقان"[2].

قال الهروي[3] **–رحمه الله** : "وهذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة"[4].

---

(١) أخرجه: البخاري، –من حديث أبي هريرة رضي الله عنه– كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، حديث رقم ٥٠، (١/ ٢٠). وأخرجه: مسلم، من حديث عمر رضي الله عنه– كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى حديث رقم ٨، (١/ ٣٦).

(٢) السهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٢٢٧).

(٣) شيخ الإسلام الحافظ الكبير، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي ولد سنة ٣٩٦هـ، كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء، له: "ذم الكلام" توفي سنة ٤٨١هـ. الذهبي، سير الأعلام، (١٨/ ٥٠٣). ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/ ١٣٥).

(٤) الهروي، عبد الله بن محمد، منازل السائرين، (١/ ٩).

وكأن التصوف أعلى درجات الإسلام! وهو دوام المراقبة وكمال الخلق والمعرفة!!

فلم يبق للمتصوفة إلا أن يقولوا: إن التصوف والإسلام شيء واحد، أو أن بينهما عموم وخصوص؛ أو إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا!!

والإحسان لفظ شرعي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، والتصوف لفظ محدث ليس له علاقة أو ارتباط بالأدلة والمصطلحات الشرعية.

- **ومن أدلتهم:** عن عائشة عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنّه كان يقول: **(قَدْ كَانَ يَكُونُ فِى الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِى أُمَّتِى مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ)**[1].

قال القاضي عياض[2] - رحمه الله: "ذكر مسلم عن ابن وهب[3] أن تفسيره: ملهمون. وقال غيره: "محدثون": قوم مصيبون إذا ظنوا، فكأنهم حدثوا بشئ فقالوه"[4].

---

(١) أخرجه: مسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب فضائل عمر رضي الله عنه، حديث رقم ٢٣٩٨، (٤/ ١٨٦٤).

(٢) القاضي عياض الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي واستبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق. وصنف التصانيف المفيدة منها " الإكمال في شرح كتاب مسلم " كمل به " المعلم في شرح مسلم " للمازري، ومنها " مشارق الأنوار "وكان من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقضي بسبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها. توفي سنة ٥٤٤هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/ ٤٨٣)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٢١٣).

(٣) عبد الله بن وهب بن مسلم المصري أبو محمد سمع حميد بن هاني وحيوة وابن جريج والثوري سمع منه إسماعيل بن أبي أويس قال إسحاق هو القرشي مولى بني فهر مات سنة سبع وتسعين ومائة. البخاري، التاريخ الكبير، (٥/ ٢١٨). ابن حبان، الثقات، (٨/ ٣٤٦).

(٤) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، (٧/ ٤٠٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] – **رحمه الله**: "فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الأمة؛ يجب عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسنة، فإن وافق ذلك صدق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه، كما كان يجب على عمر –رضي الله عنه– وهو سيد المحدثين إذا ألقي في قلبه شيء وكان مخالفاً للسنة لم يقبل منه فإنه ليس معصوماً وإنما العصمة للنبوة"[2].

فأهل السنة والجماعة يثبتون الإلهام والتحديث والفراسة والرؤيا الصادقة، وهي تقع لعموم المؤمنين وليس فيها خصوصية للصوفية، والتحديث أخص من الإلهام؛ فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، وهذه الأمور إذا خالفت ما جاء في الشريعة ردت[3].

– **ومن أدلتهم**: (**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**)[4].

والحديث ضعفه بعض أهل العلم وصححه بعضهم، وليس فيه شاهد للصوفية، لأن الصوفية لا يقال لهم مساكين، ولا المساكين هم العاطلون عن العمل.

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن الشيخ الإمام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية العلامة تقي الدين الحراني الشيخ الإمام العلم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ شيخ الإسلام ونادرة العصر، ذو التصانيف والحافظة المفرطة، توفي ٧٢٨هـ. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (١٤/ ١٣٥)، والصفدي، الوافي بالوفيات، (٧/ ١١).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (٣/ ٦٥).

(٣) انظر: كلام ابن القيم في مدارج السالكين في المرتبة التاسعة مرتبة الإلهام، (١/ ٤٤).

(٤) أخرجه: الترمذي، كتاب الزهد، حديث رقم ٢٣٥٢، (٤/ ٥٧٧). وقال هذا حديث غريب. وأخرجه: ابن ماجه، كتاب الزهد، حديث رقم ٤١٢٦ ، (٢/ ١٣٨١). وأخرجه: الحاكم في المستدرك، برقم ٧٩١١، (٤/ ٣٥٨)، وصححه. وقال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". الموضوعات لابن الجوزي، (٣/ ١٤١). وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة، (٢/ ٣٠٧). وصححه الألباني، انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

قال ابن عبد البر – رحمه الله: "والمسكين ها هنا المتواضع كله الذي لا جبروت فيه ولا كبر الهين اللين السهل القريب، وليس بالسائل؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كره السؤال ونهى عنه وحرمه"[1].

وقيل: الحديث معناه طلب التواضع والخضوع، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبرين، والأغنياء المترفين[2].

والحديث يستدل به الصوفية على التصوف[3] والجهال منهم يستدلون به على أن الصوفية مخصوصون بالمكاشفات وعلم الغيب، ويجعلون ذلك من مصادر التشريع.

- **ومن أدلتهم:** عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ –رضي الله عنه–، قَالَ: (**قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ الصُّوفِ تَجِدُونَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ**)[4].

حديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مبيَّنٌ في الهامش.

- **ومن أدلتهم:** ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي[5] في "كتاب الأربعين في التصوف"؛

---

(١) ابن عبد البر، الاستذكار، (٢/ ٥٤٠).

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، (١/ ١٨١). طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) قال الطوسي "باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر" وذكر جملة من النصوص على التصوف وكلها بعيدة من ضمنها هذا الحديث. انظر: اللمع في التصوف، (ص٣٤).

(٤) أخرجه: الحاكم في المستدرك، حديث رقم ٧٧، (١/ ٢٨). وأخرجه: البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم ٦١٥٠، (٥/ ١٥١). قال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". الموضوعات، (٣/ ٤٩). وقال الشوكاني: "موضوع وله طرق وألفاظ لا تصح". الفوائد المجموعة، (١/ ١٩٢). واستدل بالحديث الهجويري، باب في لبس المرقعة، كشف المحجوب، (ص٢٤١).

(٥) السلمي: محمد بن الحسين بن محمد الأزدي، السلمي الأم، شيخ خراسان وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي، صاحب التصانيف. ولد سنة ٣٢٥هـ، قال الذهبي: "في تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي " حقائق تفسيره " أشياء لا تسوغ أصلاً، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية"، توفي سنة ٤١٢هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧/ ٢٤٧)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٥٣).

حيث ذكر جملة من الأبواب يستدل بها على التصوف ونصرته منها: (باب الدليل على أن الصوفية هم رفقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وذكر حديث عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (**وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أصحاب الصفة**[1]**؛ فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم، فقال: أبشروا يا أصحاب الصفة من بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيــاً بما فيه، فإنه من رفقائي يوم القيامة**)[2].

وهذا من الأحاديث الضعيفة، التي لا أصل لها، ولم ينقله أحد غير أبو عبد الرحمن السلمي، وإن كان الاستدلال صحيحاً؛ فإن كل من كان حاله كحال أولئك الأصحاب رضي الله عنهم، فهو رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وقد شهد الله جل جلاله لهم بذلك، قال جل ذكره: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[3] .

فهل الصوفية هم أهل الصفة؟ أو هم على النعت الذي كانوا عليه الصحابة رضي الله عنهم!

---

(١) قال ابن الأثير: "أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم مَنْزل يَسْكُنه فكانوا يَأْوُون إلى موضع مُظَلَّل في مسجد المدينة يسكُنُونه". ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٧٠)، فأصل الصُّفة الظلة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (٩/ ١٩٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما الصفة التي ينسب إليها أهل الصفة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمالي المسجد بالمدينة النبوية، كان يأوى إليها من فقراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوى إليه". ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١/ ٣٨).

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي، الأربعين في التصوف، (١/ ١) قال الألباني: "ضعيف جداً، رواه السلمي الصوفي في "الأربعين في أخلاق الصوفية " وعنه الديلمي. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم ١٥٨٩ ، (٤/ ٩٢)

(٣) سورة الحشرة : الآية رقم ٨

وفي خلاصة ما تقدم:

أرى أن حديث النفر الكريم الذين جاءوا إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، من الأحاديث التي فيها نقد لأصول الصوفية في السلوك والتعبد والزهد، وهو وصف مطابق لما عندهم من غلو؛ وهو ما كان عليه حال بعض الزهاد الأوائل، وقد رده صاحب الشريعة عليه أزكى الصلاة والتسليم.

والصوفية اليوم على منهج وسلوك واعتقاد مخالف تماماً للزهد والتعبد المردود في الحديث، خاصة والتصوف دخل فيه الجهال وأصحاب الهوى وأهل الاعتقاد الباطني والفلسفي، فأصبح خليطاً ممزوجاً من تلك الأهواء. ومن قرأ في فضل العالم على العابد تبيَّن له، ما يكون للشيطان من دور في تزيين التصوف، والعبث بعقولهم وإضلالهم، قال ابن الجوزي –رحمه الله– في تلبيس إبليس على العباد: "فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل"[(١)].

ومما يقوم به الشيطان أنه يظهر لهم يقظة ومناماً في صور الصالحين، ويملي عليهم حتى يظن أحدهم أن الخضر عليه السلام جاءه وزاره! قال جلَّ وعلا: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾[(٢)].

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ١٦٥).

(٢) سورة الكهف : الآيتان رقم ١٠٣ – ١٠٤

المبحث الأول
المشكل في تعاريف التصوف والصوفية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول
تضمين المدح في نسبة التصوف واشتقاقه.

أسهب بعض العلماء من أهل السنة والجماعة ومن الصوفية أيضـًا في نقل تعاريف التصوف، بصورة فيها نوع من المبالغة، إذ اشتملت التعاريف على مدح مطلق للصوفية، ونقل لأقوالهم؛ وهي ليست مسلمة لا في اللفظ، ولا في المعنى من حيث المطابقة على فرقة وجماعة انتهجت اليوم تعبداً لله تعالى، على غير منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.

ثم إن إطراء التصوف بتعاريف كثيرة ليست جامعة ولا مانعة، كما أنها غير صحيحة؛ من المسائل التي تحتاج إلى وقفات وتأملات؛ خاصة والتصوف -اليوم- اختلط بكثير من البدع والانحرافات والشركيات.

ففي اشتقاق لفظ التصوف وأصل الكلمة، يحاول أهل التصوف مدحه بأمور ليست صحيحة، سواء صح الاشتقاق أو لم يصح، فقد ذكر الطوسي[1] نسبتهم إلى ظاهر اللبسة، أي التصوف، قال: "لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام، وشعار الأولياء الأصفياء، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار؛ فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسمـًا مجملاً عامـًا مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة"[2].

---

(١) عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى، أبو نصر السّرّاج الطُّوسي الصُّوفي، المتوفى: ٣٧٨ هـ. مصنّف كتاب "اللمع" في التصوف. الذهبي، تاريخ الإسلام، (٨/ ٤٥٢). وحاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، (٤/ ١٥٤). ونقل عنه أبو عبد الرحمن السلمي كثيراً في طبقات الصوفية، (١/ ٦٣). وغيرها من الصفحات.

(٢) الطوسي، اللمع في التصوف، (ص٤٠).

فهذا مدح للتصوف في اشتقاق اللفظ؛ وأنه مأخوذ من لباس الأنبياء عليهم السلام! فهل الأنبياء لم يلبسوا غير الصوف؟ وهل ثبت ذلك بدليل صحيح[1]؟

ثم أشار إلى أن ظاهر اللبسة يخبر عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق!

فهل يسلم لظاهر الإنسان وشكله ولباسه بأنه عالم وإمام؟

وإن كان هذا هو الراجح في اشتقاق التصوف من الصوف، لأنهم كانوا يظهرون الزهد والتقشف، وقد رجحه جماعة من الصوفية[2] وأكثر المحققين من أهل السنة[3].

وقد روي عن محمد بن سيرين[4] -رحمه الله : "أنه بلغه أن قومـًا يفضلون لباس الصوف، فقال: إن قومـًا يتخيرون الصوف، يقولون: أنهم متشبهون بالمسيح ابن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره، أو كلاما نحواً من هذا**"**[5].

---

(١) روى البيهقي في السنن الكبرى، عن مجاهد قال: "صَلَّى فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْخَيْفِ يَعْنِي مَسْجِدَ مِنًى سَبْعُونَ نَبِيًّا، لِبَاسُهُمُ الصُّوفُ وَنِعَالُهُمُ الْخُوصُ". البيهقي، السنن الكبرى، حديث رقم ٣٩٩٠، (٢/ ٤٢٠). وهو أثر مقطوع.

(٢) انظر: الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (ص٢٢)، والسهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٤٨)، والقشيري، الرسالة القشيري، حيث جعله وجه من وجوه الاشتقاق ورده، (١/ ١٢٦).

(٣) انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٣٩)، وابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (١/ ٢٠). ومجموع الفتاوى، (١١/ ١٦).

(٤) محمد بن سيرين أبو بكر مولى أنس بن مالك الأنصاري البصري، وكان من أورع أهل البصرة، فقيهـًا فاضلاً حافظـًا متقنـًا، يعبر الرؤيا رأى ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: مات الحسن سنة عشر ومائة قبل بن سيرين بمائة يوم. البخاري، التاريخ الكبير، (١/ ٩٠). وابن حبان، الثقات، (٥/ ٣٤٩).

(٥) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (١/ ١)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ٧).

كما جمعوا مع هذا الاشتقاق نسبتهم لأهل الصفة من الصحابة -رضي الله عنهم: قال الكلاباذي[١]: "ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسه، وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة؛ فتجزوا بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف، ثم هذه كلها أحوال أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا: "يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى إن كان بعضهم يعرق فيه فيوجد منه ريح الضأن إذا أصابه المطر هذا وصف بعضهم"[٢]"[٣].

فمن الصوفية يزعمون أن أصل التصوف يرجع إلى أهل الصفة من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا من الباطل فإن أهل الصفة ألجأتهم الحاجة إلى الجلوس في آخر المسجد، فهم مهاجرون لا مأوى لهم ومن هنا قال أهل العلم أن يزيدون وينقصون.

وعوَّلوا على حالهم وفقرهم، ليرفعوا شأن التصوف وأنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتي مزيد بيان عن مصطلح الفقر إن شاء الله تعالى.

كما نجد أن في نسبة التصوف إلى صفاء القلب أو أنهم صفوة الخلق، وغالبـًا ما يرجح

---

(١) الكلاباذي الإمام الحافظ الأوحد، أبو نصر، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم، البخاري الكلاباذي، وكلاباذ محلة من بخارى، واختلف في وفاته فقيل سنة ٣٩٨هـ، وقيل: سنة ٤٦٠هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ٢١٠)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧/ ٩٤).

(٢) أخرجه: الترمذي، السنن، كتاب الزهد، معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٣٦٨، (٤/ ٥٨٣). قال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (ص٢٢).

المتصوفة المعاصرون النسبة إلى أهل الصفة لأنه يجمع كل الاشتقاقات الحسنة، ويستبعدون أنه من الصوف مع أن الأكابر منهم رجحوا ذلك.

قال في قواعد التصوف: "إنه من الصفاء وصُحِّح هذا القول، حتى قال أبو الفتح البستي[1]:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... وظنه بعض الناس مشتقاً من الصوفي

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافي فصـــوفي حتى سمي الصوفي"[2].

وعلى كل فإن اشتقاق التصوف من أي معنى كان، لا يعني مدح التصوف مطلقاً، فلبس الصوف قد يكون مدحاً لإنسان وذماً لآخر، فمن الناس من يلبسه معدماً لغيره، ومنهم من يلبسه تشبهاً وتظاهراً بالزهاد، وكذلك صفاء القلوب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى.

وحال أهل الصفة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من الزهاد الأوائل، لن تبلغه جماعة أو طائفة أبداً، نعم يمكن لآحاد الناس أن يتعبد الله تعالى ويخفي زهده؛ فيبلغ مراتب الصالحين، ومن أراد السبيل عليه السير على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم.

---

(١) أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور يقصد التطابق والتجانس، توفي سنة ٤٠٠هـ، ببخارى. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/ ٣٧٨)، وابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ٢٧٨). ولم يتبين لي نسبة البيتين إليه أو لأبي العز البستي الصوفي.

(٢) زروق المغربي، قواعد التصوف، (ص٢٠).

المطلب الثاني
المشكل في كثرة الأقوال المنقولة في تعريف التصوف

من المسائل المشكلة نقل بعض أهل العلم لكثير من تعاريف التصوف، وحكاية أنها بلغت من الكثرة مبلغًا كبيراً، وهو مشكل من وجوه:

الأول: أن معظم التعاريف منقولة من كتب الصوفية وأقوالهم؛ وهي تتضمن مدحًا لهم.

قال السهروردي[1] -رحمه الله: "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول، ويطول نقلها"[2].

وفي قواعد التصوف: "وقد حد التصوف بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى"[3].

وقد نقل إحسان إلهي ظهير – رحمه الله ، أقوال المتصوفة وتعريفاتهم ثم قال: "فهذه هي تعريفات التصوف والصوفية لدى أعلام الصوفية وأقطابهم أنفسهم، ونقلناهم من كتبهم، تضاربت فيها آراء القوم، وتعارضت فيها أقوالهم، لا جمع بينهما ولا وفاق رغم ما ادعاه بعض المتأخرين، وحاولوا التوفيق ولكن دونه خرط القتاد، لأن كل تعريف مستقل عن التعريف الآخر، وحتى التعريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحد تباعد بعضها عن بعض كل البعد وهذا التباعد ظاهر جليّ لكل من نظر فيها وقرأها تأمل وتدبر، وتحقق وتعمق"[4].

---

(١) السهروردي: عمر بن محمد بن عبد الله البكري البغدادي شهاب الدين أبو حفص السهروردي شيخ الصوفية ببغداد ولد سنة ٥٣٩هـ، صاحب "عوارف المعارف" كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين. توفي سنة ٦٣٢هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٢/ ٣٧٣)، وابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ١٣٨).

(٢) السهروردي، عوارف المعارف، (ص٤٨).

(٣) زروق المغربي، قواعد التصوف، (ص١٣).

(٤) إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصدر، (١/ ٣٥).

وهذا تعليق مهم جداً، لأن النقل إذا كثر من غير نقد يفهم منه المدح، وهنا ذكر الفائدة وهي التعارض والاختلاف، بين أهل التصوف في ماهيته.

والثاني: إيحاء تلك التعاريف بالتعظيم؛ ومع كثرتها ليس فيها تعريفـًا للصوفية –إلا ما ندر– وإنما تعاريف للزهد والتعبد والفقر والصبر والأخلاق.... وقد تضمنت جل التعاريف المنقولة بمدح التصوف والصوفية.

ذكر الطوسي في اللمع عن محمد بن علي القصاب[١] في التصوف قوله: "أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"[٢].

ويؤخذ على هذا التعريف إخراج الاعتقاد والعمل الصالح والإبهام في قول رجل؛ وفيه إشارة إلى أن التصوف هو الإسلام، وكأن أتباعه هم الصحابة، فلم يبق للإسلام شيء، وهذا من الغلو والزيادة في المدح؛ وهو كما قال أبو فراس[٣]: (وما أبقيت للأمير)، للمتنبي[٤] لما قال:

والخيلُ والليلُ والبيْداء تعرفني ... والحرب والضرب والقرطاسُ والقلمُ

---

(١) محمد بن علي أبو جعفر القصاب الصوفي وهو من أقران السري وصحبه الجنيد كثيراً، توفي سنة ٢٧٦هـ. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٦/ ٣٥٩)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٢٢).

(٢) الطوسي، اللمع، (ص٤٥).

(٣) أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الشاعر كان فيه شجاعة وكرم، استنابه سيف الدولة على حران ومنبج له ديوان مشهور، قتل سنة ٣٥٧هـ. ابن الجوزي، المنتظم، (٧/ ٦٨)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/ ١٩٦)، وابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ٢٧٦).

(٤) المتنبي الشاعر أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي ولد سنة ٣٠٣هـ، ذاع صيته وشعره وأكثر مدح سيف الدولة الحمداني، قتل معه ابنه قريبـًا من النعمانية، سنة٣٥٤هـ. ابن الجوزي، المنتظم، (٧/ ٢٤)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٧/ ٢٩١).

قال أبو فراس: "وما أبقيت للأمير، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة، والرياسة والسماحة"[1].

من ذلك قول الجنيد[2] –رحمه الله: "علمنا يعني التصوف مشبك بحديث رسول الله"[3].

وهذا التعريف أو الوصف للتصوف بالتمسك بالسنة، قد يفهم منه أن الصوفية من أهل الحديث، أو أن متقدميهم عظموا الحديث وحذروا من الخروج عن السنة، وهم ليسوا كذلك، لأن عندهم مصادر للتلقي كثيرة[4]؛ خلاف السنة نعم هذا الوصف قد يكون مطابقـاً لحال القائل لكنه لا ينطبق على عموم الصوفية.

ومما يتناقض تمامـاً مع قول الجنيد –رحمه الله– قول الكلاباذي –غفر الله له: "ثم وراء هذا علوم الخواطر، وعلوم المشاهدات المكاشفات، وهى التي تختص بعلم الإشارة؛ وهو العلم الذى تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها"[5].

وهذا مما تناقله الصوفية عن مشايخهم، وتسلطوا به على المريدين من أتباعهم، حتى

(١) يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، (١/ ٢٣).

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، وكان شيخ وقته وفريد عصره، صَحِب السَّريَّ السَّقَطِيَّ، والحارثَ المحاسبيَّ، له أقوال مشهورة، توفي سنة ٢٩٧هـ. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٥٥)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٣٧٣). وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٢٠).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٦٧).

(٤) انظر: د. صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، الباب الثاني، الكشف، (ص٢٠٣)، والباب الثالث، (ص٥٣٥)، والباب الرابع، (ص٦١٩).

(٥) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (ص٨٧).

بلغ بهم الغلو إلى دعوى أن الشيخ يعلم أسرارهم وبواطنهم، ومطلع بهذه المكاشفات على الغيوب[1].

وقال النصراباذي[2] -رحمه الله-: "التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، والملازمة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات"[3].

وهذا كلام حسن جميل؛ فمن كان على هذا فقد أصاب، ومن خرج عن هذا إلى الغلو في تعظيم حرمات المشايخ والاعتقادات الشركية فيهم، وصرف لهم شيئًا مما لا يستحقه أحد إلا الله تبارك وتعالى؛ فقد أخطأ ووقع في الظلم العظيم.

والحال والواقع وما يعيشه الصوفية -وخصوصًا في هذا الزمان- أهواء وبدع؛ وبُعْدٌ عن الكتاب والسنة؛ والله المستعان.

والثالث: عدم تحرير المنقول لتعاريف الصوفية وأقوالهم ونقدها:

يرد في بعض الأحيان؛ نقل لكلام الصوفية في كتب التراجم وعبارات من مصطلحاتهم؛ وحكايات وقعت لهم، ما يفهم منه مدح التصوف قديمة وحديثه.

فمن المسائل المشكلة عدم تحرير المنقول، والوقوف على صحته وسنده ومصدره، وذلك في تزكية الصوفية ومدحهم، وفي أقوالهم، وتعاريفهم.

---

(١) انظر: البرعي السوداني، ديوان رياض الجنة ونور الدجنة، (ص١٢٧) قال في مدح شيخه أحمد الطيب بن البشير:

وينظر في أم الكتاب ويهتدي *** برؤيته من كان للمال ينهب

(٢) إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم النصراباذي. وهو من شيوخ أبي عبد الرحمن -السلمي-. وزامل أبا عبد الرحمن، في الاستماع إليه، والانتفاع به، محدث نيسابور، ومؤرخها وعالمها. توفي سنة ٣٦٧هـ. مقدمة طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، (١/ ٤)، بدون. والشعراني، الطبقات الكبرى، (١/ ١٢٢).

(٣) ابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٥).

فمصطلحات التصوف يتناقلها من يترجم للصوفية ويعبرون ببعض العبارات المنكرة مثل قولهم: "أحد أرباب الحقيقة"، أو "كان من رجال الحقيقة"، أو "ممن خص بعلم الظاهر والباطن"، كما تذكر اعتقادات باطلة فيهم.

فإذا حُكِيَتْ أقوالُ الصوفية ونقلت من غير أن يُرَدَّ عليها ويُبَيَّن ما فيها من ضلال؛ كان في ذلك خطر أعظم من المدح، إذ يفهم منه تقرير العقائد الباطلة، وهذا التساهل يكثر في كتب التراجم، وخاصة من عنده مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، فمن الأمثلة ما ذكره ابن خلكان[١] في ترجمة معروف الكرخي[٢] حيث قال: "وكان مشهوراً بإجابة الدعوة، وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب"[٣].

وهذا شرك صريح لا ينبغي ذكره في ترجمته، إلا إذا كان المراد بيان الغلو فيه، والرد على من وقع في الشرك والبدع، وهنا لم يعلق ابن خلكان على العبارة التي ذكرها، وتركها مرسلة مهملة دون رد أو نقد، وهذه العقائد الشركية موجودة عند الصوفية منذ ذلك الزمن وإلى يومنا هذا الاستغاثة بأهل القبور ومناداتهم.

---

(١) ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأدب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) انتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها. وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. توفي في سنة ٦٨١هـ. انظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (٨/ ٣٤). وابن كثير، البداية والنهاية، (١٣/ ٣٠١)، وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، (٢/ ١٦٦).

(٢) أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، وقيل: كان مستجاب الدعوة وحكيت عنه أقوال وكرامات باطلة، وشركيات حتى قيل: إن أهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون: "قبر معروف ترياق مجرب". توفي سنة ٢٠٠هـ، وقيل بعدها. انظر: السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣٩)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٥/ ٢٣١)، وابن الملقن طبقات الأولياء، (١/ ٤٧).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٥/ ٢٣٢).

وأيضـًا قال عند ذكره في للحارث المحاسبي[1] -رحمه الله: "أحد رجال الحقيقة، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن"[2].

ذكر الذهبي[3] في ترجمة الجنيد -رحمة الله عليهما- أنه: "سألوه عن التصوف، فقال: هو إفراد القديم عن الحدث، والخروج عن الوطن، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل، وأن يكون المرء زاهداً فيما عند الله، راغبا فيما لله عنده، فإذا كان كذلك حظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح"[4].

ولم ينتقد الذهبي -رحمه الله- قوله بل ذكر من أثنى على كلامه! ولك أن تقارن بين قوله: "زاهداً فيما عند الله" وبين معتقد الصوفية في تعبدهم محبة لله لا رغبة فيما عنده ولا خوف من عقابه! إلا أن تكون العبارة: "زاهداً فيما عند الناس"[5]، وقوله: "علم السرائر" فهو خاص بالله تعالى ولا يعلم السر غيره سبحانه، ففي كلامه ما يزعمه المتصوفة من الاطلاع على الغيب.

---

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور؛ أحد رجال الحقيقة عند الصوفية، له كتب في الزهد والأصول وكتاب "الرعاية لحقوق الله" له، وله أقوال منقولة، توفي بغداد سنة ٢٤٣هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣٢)، والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١١)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٥٧).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٥٧).

(٣)أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، صاحب التصانيف الكثيرة "سير أعلام النبلاء" و"تاريخ الإسلام" و"كتاب الكبائر". ابن كثير، البداية والنهاية، (١٤/ ٢٢٥).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٦٩). ونقل الشعراني أيضـًا قول الجنيد في: "الكواكب الشواهق"، (ص٢١١).

(٥) حاولت أن أجد له مخرجـًا على أن تكون العبارة فيها تصحيف. فلم أجد من نقلها بما ذكرت.

ونقل الذهبي أيضاً عن الجنيد قوله :"ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، بل عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات". ثم قال قلت: "هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط. أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس، من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شئ قدراً، والسعادة في متابعة السنن، فزن الأمور بالعدل، وصم وأفطر، ونم وقم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير"[١].

وهذا نقد مطلوب لأقوال المتصوفة، وبيان ما فيها من مخالفة، حتى ولو كانت من الأكابر، على تقدير ثبوتها عنهم فإنه كثر عندهم إضافة الأقوال للمتقدمين، لتروج عند الأتباع.

ونقل ابن القيم[٢] كلام الجنيد –رحمهما الله : "المريد الصادق غني من العلماء". وقوله أيضاً: "إذا أراد الله بالمريد خيراً: أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء"[٣].

ثم قال: "إذا صدق المريد وصح عقد صدقه مع الله: فتح الله على قلبه ببركة الصدق

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٧٠).

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي ابن قيم الجوزية، وله من التصانيف الهدى وإعلام الموقعين وبدائع الفوائد وطرق السعادتين وشرح منازل السائرين والقضاء والقدر وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام توفي سنة ٧٥١ هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٥/ ١٣٧)، ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٦/ ١٦٨).

(٣) انظر: أبو نعيم، الحلية، (١٠/ ٢٧٠). والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٩٣)، والشعراني، الطبقات، (١/ ٨٤).

وحسن المعاملة مع الله: ما يغنيه عن العلوم التي هي نتائج أفكار الناس وآرائهم، وعن العلوم التي هي فضلة ليست من زاد القبر، وعن كثير من إشارات الصوفية وعلومهم التي أفنوا فيها أعمارهم: من معرفة النفس وآفاتها وعيوبها ومعرفة مفسدات الأعمال وأحكام السلوك فإن حال صدقه وصحة طلبه: يريه ذلك كله بالفعل"[1].

لم ينتقد ابن القيم قول الجنيد -رحمهما الله- وحاول أن يجد له مخرجاً بالعلوم التي هي فضلة، وهو غير كافٍ، لأن القراء هم حملة القرآن الكريم! وللجنيد نظائر من هذا القول[2].

ثم إن من الطوام عند الصوفية التزهيد في العلم. وقد ذكر ابن الجوزي أن ذلك مما لبسه عليهم الشيطان، حيث قال: "وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات"[3]. وذكر فنوناً مما تخبطهم الشيطان به لعدم اشتغالهم بالعلم.

قال ابن خلدون[4] -رحمه الله- في علم التصوف: "هذا العلم من العلوم الشرعية

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٦٦).

(٢) قال أبو طالب المكي: "وكان الجنيد يقول : أحبّ للمريد المبتدي أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغيّر حاله التكسب وطلب الحديث والتزوّج، وقال: أحبّ للصوفيّ أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمّه". أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، (١/ ٤٤٣).

(٣) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٠٢).

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الإجتماعي البحاثة اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، توفي سنة ٨٠٨هـ. التكروري التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (١/ ٢٥٠)، والزركلي، الأعلام، (٣/ ٣٣٠).

الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها، من الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف؛ فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[1].

فبيَّن رحمه الله أن أصل ما عند التصوف من الزهد والتعبد موجود عند الصحابة رضي الله عنه والسلف؛ لكن اختصاص التصوف به كعلم وسلوك حادث، فالواجب الرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف، وليس الرجوع إلى ما كان عليه المتصوفة الأوائل.

ولو سلمت هذه التعاريف على أن التصوف في بداية ظهوره كان كذلك، فهل يكتفى به على أن تعريف للصوفية كفرقة وطوائف لهم أصول اعتقادية وسلوكيات تعبدية؟

المطلب الثالث
عدم التفريق بين التصوف والمصطلحات الشرعية

كثير من المصطلحات الشرعية أخذت أو"سرقت" وأعطيت للتصوف مثل الزهد، الإحسان، التعبد، الخلق، فهناك عدم تفريق بين المصطلح الشرعي وما هو مأمور به ومندوب إليه، وبين المصطلح الحادث.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، (٢/ ١٥٠)، وتاريخه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والروم والبربر، (١/ ٤٧٦).

والناظر في تعاريف التصوف والصوفية يجد نصها أحوالاً تقوم بالمسلم المتعبد؛ وبعضها على عكس ذلك مثل أن تكون وصفاً قد يقوم بالنصراني واليهودي؛ وإن جاز أن يقال يهودي متصوف أو نصراني متصوف؛ ويرجع ذلك إلى تعريف التصوف بالرهبنة أو ترك الدنيا والعمل، أو تعريف التصوف بالورع، أو بالاجتهاد في التعبد، أو بالأخلاق، وغيرها، وقد أثبت بعض أهل العلم علاقة الصوفية بالديانات القديمة؛ وأديان أهل الكتاب. فوحدة الوجود عند المتصوّفة مستمدّة من الهندوسيةِ، والحلولُ والفناءُ في ذات الله مستمدٌّ من النصرانيّة الّتي تُؤمن بحلول ذات عيسى البشريّة بالذات الإلهية. وكذلك عقيدةُ الحقيقةِ المحمّديةِ مأخوذةٌ من تصوّرٍ مشابهٍ للنّصرانيّةِ حول عيسى ومكانته في الدنيا."[1].

فكان لا بد من الفصل بين طائفة أو فرقة ظهرت في الإسلام؛ وبين مصطلحات شرعية، وأوامر دينية.

وانظر إلى مقدمة كتاب التعرف لمذهب التصوف في قول المحقق: "والتصوف تجربة روحية وليس للمادة شأن بالروح فليس للعلم بالمعنى الحديث إذن شأن بالتصوف؛ إن العلم أرض ومادة وحس والتصوف سماء وروح وذوق وأمر التصوف في النهاية تعرف لا دراسة أو جدل أو علم، وإذا ما وصلنا إلى هذه النتيجة التي هي في رأينا صحيحة كل الصحة فإن معنى ذلك أن من لا يشعر بالشعور الصوفي فإنه لا يتعرف عليه. والتصوف تجربة والتجربة شعور والشعور ليس منطقاً ولا برهاناً إنما هو تعرف"[2].

---

(١) انظر: إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، (١/ ٩٤)، وانظر: الشيخ فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، (١/ ١٣٣). وانظر: د. مروان القيسي، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، (ص٣٣)، وانظر: د. صادق سليم، المصادر العمة للتلقي عند الصوفية، مدى تأثره بالمؤثرات الخارجية، (ص٦٢).

(٢) انظر: مقدمة كتاب التعرف لمذهب التصوف، (ص١١-١٢).

فهل هذا تعريف أو وصف للتصوف، أم وصف للإحسان؟ الذي جاء في الحديث: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)**[1].

كما أن هذه التجربة والشعور يجدها الإنسان الخاشع في تعبده! والذوق والوجد مشاعر قلبية قد يكون مصدرهما شرعيـاً أو بدعيـاً، وقد يكون كفريـاً.

وكل ما يوجد في سمو الروح وتذوقها، ولذة التعبد والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى هو من آثار الخشوع، بل حتى ما يظهر من سلوك للإنسان في حياته وزهده وورعه وسمته وأخلاقه –مما يزعم أنه تصوف– هو أيضـاً من آثار الخشوع، والله سبحانه وتعالى وصف الأنبياء عليهم السلام بالخشوع وبيَّن أسباب ذلك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾[2]. رغبـاً في رحمة الله، ورهبـاً من عذاب الله، كما قال أهل التفسير[3]. ولهذا السبب كانوا خاشعين، ليس مظهراً ولا زيـاً ولا رياءً ولا جوعـاً ولا فقراً.

قال إبراهيم النخعي[4] –رحمه الله– عن الخشوع: "ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس! لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء وتخشع لله في كل فرض أفترض عليك"[5].

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٧)

(٢) سورة الأنبياء : الآية رقم ٩٠ .

(٣) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١٨/ ٥٢١).

(٤) إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران الكوفي النخعي، ثقة وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحـاً فقيهـاً متوقيـاً قليل التكلف، والأسود بن يزيد خاله، ومات وهو مختف من الحجاج، قال أبو نعيم مات سنة ست وتسعين. البخاري، التاريخ الكبير، (١/ ٣٣٣)، وابن حبان، الثقات، (٤/ ٨). العجلي، (١/ ٢٠٩).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٣٧٥).

وقيل في الخاشعون: هم المخبتون الأذلاء. وقيل: الخائفون. والمتواضعون. والخشوع غض البصر وخفض الصوت، وهو قريب من الخضوع، إلّا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر[1].

ونقل القرطبي[2] -رحمه الله- عن سهل بن عبد الله[3] -رحمه الله- قال: "لا يكون خاشعاً حتى تخشع كل شعرة على جسده لقول الله تبارك وتعالى ﴿ **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** ﴾[4].

ثم قال قلت: "هذا هو الخشوع المحمود، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه، فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذموم فتكلفه والتباكي ومطأطأة الرأس، كما يفعله الجهال ليروا بعين البر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان"[5].

---

(١) انظر: البغوي، التفسير، (٣/ ٣٥٦).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد، صاحب التصانيف الجامع لأحكام القرءان، والتذكرة بأحوال الموتى، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى؛ توفي سنة ٦٧١هـ. الصفدي، الوافي بالوفيات، (١/ ٢٠١) وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، (٥/ ٣٣٥).

(٣) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور؛ لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع؛ وكان صاحب كرامات، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، توفي سنة٢٨٣هـ وقيل قبلها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٤٢٩). والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/ ٣٣٠).

(٤) سورة الزمر : من الآية رقم ٢٣

(٥) المرجع السابق، (١/ ٣٧٥).

فالخلط هنا بين مصطلح التصوف وبين إظهار الخشوع لا حقيقة الخشوع؛ ولهذا تلكم أهل العلم عن سماع الصوفية، وسقوطهم ومبالغتهم ومخالفتهم فيه[1].

وعقد القشيري[2] –رحمه الله– في رسالته: "باب السماع قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾[3] ، اللام في قوله: (**الْقَوْلَ**) تقتضي التعميم والاستغراق، والدليل عليه: أنه مدحهم باتباع الأحسن... وقال معرفـًا السماع: واعلم أن سماع الأشعار بالألمان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظوراً، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم ينجز في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك لهواه، مباح في الجملة"[4].

أركان التصوف:

من ينظر في أركان التصوف يجد فيها خطـًا كبيراً، بين مصطلحات شرعية وأخرى لغوية، أولوها وفهموها على معنى مختلف لما وضعت له.

فأركان التصوف المجمع عليها بينهم: الصمت، والجوع، والعزلة والسهر. مع وجود زيادة عند بعضهم وتعبير بألفاظ مختلفة.

---

(١) انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٧٤)، في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد وشيخ الإسلام ابن تيمية في رده على القشيري وغيره من أعلام التصوف في مسألة السماع، الاستقامة، (١/ ٢١٦). والشاطبي، في الاعتصام، (١/ ٢٢٤)، في باب مأخذ أهل البدع في الاستدلال.

(٢) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة "، ولد سنة ٣٧٥هـ، وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الاخلاق، غواصا على المعاني، صنف كتاب "نحو القلوب"، وكتاب "لطائف الاشارات" توفي سنة ٤٦٥هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٢٢٧)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٤٣).

(٣) سورة الزمر : الآيتان رقم ١٧ ، ١٨

(٤) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٥١).

ففي قوت القلوب: "اجتمع الخير كله في هذه الخصال الأربع وبها صار الأبدال أبدالاً: إخماص البطون، والصمت، واعتزال الخلق، وسهر الليل"(١).

نقل الكلاباذي -رحمه الله- في التعرف: "أركان التصوف عشرة، أولها: تجريد التوحيد، ثم فهم السماع، وحسن العشرة، وإيثار الإيثار، وترك الاختيار، وسرعة الوجد، والكشف عن الخواطر، وكثرة الأسفار، وترك الاكتساب، وتحريم الادخار"(٢).

وفي الرسالة القشيرية: "بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة"(٣).

وقيل: لأبي يزيد البسطامي وهو أعلى هذه الطائفة إشارة بأي شيء نلت هذه المعرفة؟ قال: "ببطن جائع وجسد عارٍ"(٤).

وعن إبراهيم بن أدهم(٥) -رحمه الله- قال: "لن ينال الرجل درجة الصالحين، حتى يجوز ست عقبات:

أولها: أن يغلق باب النعمة، ويفتح باب الشدة.

---

(١) أبو طالب المكي، قوت القلوب، (١/ ١٧٤).

(٢) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (١/ ٨٩).

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٤٨).

(٤) السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣٧)، أبو طالب المكي، قوت القلوب، (٢/ ٢٨٢)، والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٢)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٦٦)

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي؛ أصله من بلخ، وكان من أولاد الملوك، واشتغل بالزهد عن الرواية، وكان يكون بالكوفة ثم بالشام، وصفه أبو نعيم في الحلية بقوله: أيد بالمعارف فوجد وأمد بالملاطف؛ فعبد كان عن المقطوع والمرذول وبالمرفوع الموصول مشغولاً، توفي سنة ١٤٠هـ. ابن حبان، الثقات، ٦/ ٢٤)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (٧/ ٣٦٧)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٣١).

والثاني: أن يغلق باب العز، ويفتح باب الذلِّ.

والثالث: أن يغلق باب الراحة؛ ويفتح باب الجهد.

والرابع: أن يغلق باب النوم، ويفتح باب السهر.

والخامس: أن يغلق باب الغنى، ويفتح باب الفقرِ.

والسادس: أن يغلق باب، الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت"[1].

وقد عبر الكلاباذي -رحمه الله- عن الصوفية الذين حققوا هذه الأصول بقوله: "وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه؛ من ستر عورة، وسد جوعة، فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء، ولكثرة أسفارهم سموا سياحين، ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورات، سماهم بعض أهل الديار شكفتية والشكفت بلغتهم الغار والكهف"[2].

فالكلام عن أركان التصوف عند القوم وعن المصطلحات الشرعية فضلاً عن المصطلحات المبتدعة، يظهر غلوهم في تلك المعاني، التي بها يصبح الصحيح سقيماً، والعاقل مجنوناً، والعابد راهباً، ويكون المسلم بعيداً عن الحق؛ واتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف الأمة.

من أبرز المصطلحات التي فيها خلط عند الصوفية:

مصطلح الزهد:

من أهم المصطلحات التي تتعلق بالتصوف الزهد، حيث ارتبط اسم الصوفية بالزهاد

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٤٨).

(٢) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (١/ ٢١).

العباد؛ فجعلوا الزهاد هم الصوفية، والزهد هو التصوف، كما أنهم غلو في مفهوم الزهد حتى أخرجوه عن حقيقته.

في التعريفات: "الزهد في اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عنها"[1].

وفي كتب التصوف: "الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع"[2].

فالصوفية جعلوا من الزهد منطلقـًا، وحملوا الزهد على أعلى صوره وغلو فيه، وتوجد أقوال حسنة عند الزهاد في معنى الزهد؛ لكنها قد تحمل على غير محملها.

قال الجنيد –رحمه الله–: "الزهد خلو الأيدى من الأملاك والقلوب من التتبع"[3].

وقال الفُضَيل[4]–رحمه الله–: "أصلُ الزهد الرضا عن الله تعالى"[5].

وفي قوت القلوب: "الزهد مخالفة الهوى من كلّ شيء وأصل كل طاعة"[6].

وذكر الهروي –رحمه الله– في منازل السائرين، ثلاث درجات للزهد ولا مشكل في الأوليين أما الثالثة، فقال: "الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه، واستواء الحالات عندك، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادي الحقائق"[7].

---

(١) الجرجاني، التعريفات، (١/ ١٥٣)

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٤٦). وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٥٥).

(٣) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (ص٩٣). وفي قول آخر، قال: " الزهد خلو القلب عمَّا خلت منه اليد". وانظر: القشيري، الرسالة القشيرية، (ا/ ٥٥).

(٤) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، وكان من كبار السادات، توفي سنة ١٨٧هـ. انظر، أبو نعيم، حلية الأولياء، (٨/ ٨٤)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ٤٧) .

(٥) السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٢٤).

(٦) أبو طالب المكي، قوت القلوب، (١/ ٤١٠).

(٧) الهروي، منازل السائرين، (ص٣١).

وفي قوت القلوب: "اعلم أن الزهد يكون بمعنيين؛ إن كان الشيء موجودًا فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه ولا يصحّ الزهد فيه مع تبقيته للنفس ؛ لأن ذلك دليل الرغبة فيه؛ وهذا زهد الأغنياء، وإن لم يكن موجودًا وكان العدم هو الحال؛ فالزهد هو الغبطة به والرضا بالفقد؛ وهذا هو زهد الفقراء، وكذلك القول في الزهد في ترك الهوى لا يصحّ إلا بعد الابتلاء به والقدرة عليه"[1].

ومما يبيِّن بعدهم في مفهومه، قولهم: "الزهد مركب من الحروف الثلاثة: الزاء، والهاء، والدال، فالزاي ترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا"[2].

فهذا من الخلط الواضح في حقيقة الزهد ومعناه، مع ما عندهم من تصوف وهو مُشْكِل من وجوه متعددة؛ منها:

الأول: أن الزهد اسم شرعي والتصوف اسم بدعي.

فالشريعة أمرت بالزهد وجاءت نصوص الكتاب والسنة في التزهيد في الحياة الدنيا

فهل يستطيع أحد أن يقول بأن الشريعة قالت تصوفوا الشريعة؟

وقد ذكر أهل الصحاح والسنن كتابًا أبوابًا سموها: كتاب الزهد وباب في الزهد وأوردوا فيها الأحاديث[3]، فلم يقل أحد منهم أنها أحاديث في التصوف، ولم يسموا أبداً كتاب التصوف.

---

(١) أبو طالب المكي، قوت القلوب، (١/ ٤١٣).

(٢) إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، (١/ ٧٨)، وقد نقل ذلك عن كتاب أبي المظفر المروزي، مناقب الصوفية، (ص٥٥).

(٣) انظر: كتاب الزهد في صحيح مسلم والرقائق، وكتاب الرقاق في صحيح البخاري، وكتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جامع الترمذي، وكتاب الزهد في سنن ابن ماجه.

الثاني: أن التصوف غير الزهد وفيه زيادة عليه، إذ يتضمن اعتقادات وعبادات وسلوكيات مخالفة لما في الكتاب والسنة.

وقد نبه على هذا ابن الجوزي -رحمه الله-، فقال: "فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف"[1].

الثالث: أن الزهد الذي عند المتصوفة فيه نوع من المبالغة، وقد رده من نزلت عليه الشريعة صلوات ربي وسلامه عليه؛ وكما تقدم في التمهيد حديث النفر الكريم الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم.

مصطلح الفقر:

وهو من المصطلحات التي تعد من أركان التصوف، وقد خرجوا به على خلاف المألوف، وبنوا أصله واشتقاقه من أهل الصفة، لأنهم كانوا فقراء وإليهم انتسبوا وبهديهم والاقتداء بهم امتدحوا.

وهو أيضــاً مبني على ما تقدم من مصطلح الزهد لأنه قرينه، ولا يكون الزهد إلا به، إذ حقيقته ترك الدنيا والعمل والتكسب والادخار.

قال الهروي -رحمه الله- في المنازل: "الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة، وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فقر الزهاد وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطـاً أو طلبـاً وإسكات اللسان عنها ذما أو مدحا والسلامة منها طلبا أو تركا وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.

---

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٠٤).

والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال ويقطع شهود الأحوال ويمحص من أدناس مطالعة المقامات.

والدرجة الثالثة: صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في قيد التجريد وهذا فقر الصوفية"[1].

ومن الجيد أنه فرق بين فقر الزهاد وفقر الصوفية، بغض النظر عن الاختلاف في أيهما أعلى أو كونه لا يفضل درجة على درجة. فإن فقر الزهاد ليس فيه تكلف لا في النفس ولا في اللفظ.

وقال القشيري -رحمه الله-: "والفقراء: صفوة الله عزَّ وجلَّ من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق"[2].

فهل الإسلام يدعوا إلى الفقر وترك العمل!؟ والجلوس في المساجد والاعتماد على ما يؤتى به من صدقات! كما هو حال الصوفية الدراويش أصحاب التكايا[3].

خاصة والصوفية تدعوا إلى الفقر ويسمون بالفقراء، ويقولون: الفقر شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء -عليهم السلام.

وفرق بين من يمدح الفقر، وبين من يدعوا إليه ويعمل لأجله ويتظاهر بشكله، ويعطل مكاسبه ومنافعه.

وهل الفقر الممدوح ناشئ عن ترك الكسب؟ أم هو ناشئ من الزهد؟ أم هو قضاء من الله تبارك وتعالى؟ والخلل واضح في مفهوم الفقر عندهم.

---

(١) الهروي، منازل السائرين، (١/ ٧٢).

(٢) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٢٢).

(٣) التكايا: مفردها تكية تركية الأصل وهي رباط المتصوفة اشتهر الأتراك ببنائها، ويطلق عليها أحياناً زوايا وخانقاه: وقيل: فيها بقعة يسكنها أهل الصَّلاة والخير، والصُّوفِية، قال المقريزيُّ: وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة، وجعلت لمُتَخَلِّي الصوفيَّة فيها لعبادة الله تعالى. انظر: الزبيدي، تاج العروس، (٢٥/ ٢٧٠)، وانظر: عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (٣/ ٢٦٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "لما كان جنس الزهد في الفقراء أغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد، وهو من جنس التصوف... ثم قال: وأولياء اللّه هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيرًا أو صوفيًا أو فقيهًا أو عالمًا أو تاجرًا أو جنديًا أو صانعًا أو أميرًا أو حاكمًا أو غير ذلك"(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: بعد أن أشار إلى أغنياء من الأنبياء عليهم السلام، ومن الصحابة -رضي الله عنهم-، فقال: "وكذلك الخليل وشعيب والأَغنياء من الأَنبياءِ، عليهم الصلاة والسلام وكذلك أَغنياء الصحابة، فهؤلاء لم يكونوا بريئين من الملكة فى الظاهر وهم بريئون من رؤية الملكة لنفوسهم فلا يرون لها ملكـًا حقيقيـًا، بل يرون ما فى أَيديهم لله عارية ووديعة فى أَيديهم؛ ابتلاهم به لينظر هل يتصرفون فيه تصرف العبيد أَو تصرف الملاك الذين يعطون لهواهم ويمنعون لهواهم، فوجود المال فى يد الفقير ليس يقدح فى فقره، إِنما يقدح فى فقره رؤيته لملكته، فمن عوفى من رؤية الملكة لم يتلوث باطنه بأَوساخ المال وتعبه وتدبيره واختياره"(٢).

فلا بد من التفريق بين الفقر الذي يمدح صاحبه وبين الفقر الذي يذم، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه، كما في السنن: أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ: (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ**(٣) **وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ**)(٤).

---

(١) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (١/ ٧)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ٢١).

(٢) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (١/ ٣١).

(٣) قال الطيبي: "أصل الفقر، كسر فقار الظهر، والفقر يستعمل علي أربعة أوجه: الأول: وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للإنسان، ما دام في دار الدنيا، بل عام للموجودات كلها، والثاني: عدم المقتنيات، الثالث: فقر النفس وهو الشره، وهو المقابل بقوله: (الغنى غنى النفس) والمعني بقولهم: من عدم القناعة لم يفده. المال غنى. الرابع: الفقر إلي الله تعالي. والمستعاذ منه في الحديث هو القسم الثالث". الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، (٦/ ١٩١٧)، بتصرف.

(٤) أخرجه: أبو داود، السنن، كتاب سجود التلاوة، باب في الاستعاذة، حديث رقم، ١٥٤٤، (١/ ٤٨٢)، وأخرجه: النسائي، المجتبى من السنن، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الذلة، حديث رقم ٥٤٦٠، (٨/ ٢٦١).

وقال عمر -رضي الله عنه-: " الغنى والفقر مطيتان لا أبالي أيهما أركب"(١).

فقضية الفقر الذي يمدح أهله هو الرضا بالحال والقناعة، وأن يظهر الافتقار إلى الله والحاجة إليه، وليس تصنعاً للفقر، وترك العمل من أجل أن يصبح المرء فقيراً.

وللصوفية أقوال حسنة ومعانٍ جميلة عن الفقر، لا سيما عند وصف الفقر إلى الله تعالى والرضا بما قسم وأعطى وعدم التفات القلب لأي أحد من الناس في أي حاجة من حوائج الدنيا، وكذلك إذا أضيف الفقير إلى الله، حتى أصبح في بعض البلدان معنى الفقير العالم الذي يعلم الناس الفقه والقرآن الكريم.

ومن ذلك قولهم: "إذا صح الافتقار إلى الله؛ صح الغنى بالله؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر"(٢).

وهو خلاف ما يقول به كثير من المتصوفة الداعين إلى الفقر وترك العمل، مع تعمد إظهاره والسعي لنيل شرفه، وليس من باب الرضا بما قضى الله تعالى.

مصطلح الأخلاق:

جاء في النهاية: "الخُلُق - بضم اللام وسُكونها -: الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة وحقيقتُه أنه لِصُورة الإنسانِ الباطنة وهي نفْسُه وأوْصافُها ومَعانِيها المُخْتصَّة بها بمنزلة الخَلْق لِصُورته الظاهرة وأوْصافِها ومَعانيها"(٣).

---

(١) أوردها أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، من قول ابن مسعود رضي الله عنه، (٢/ ٦٦)، والعبارة مشهورة عن عمر رضي الله عنه. انظر: الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: الكلاباذي، التعرف، (١/ ٩٥)، وما بعدها فقد ذكر نقولاً جميلة تحت باب قولهم في الفقر.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (٢/ ١٤٤).

والمشكل في هذا المصطلح أن المتصوفة جعلوه وصفاً خاصاً بهم، وكأن التصوف يقوم على الأخلاق الكريمة والقيم الفاضلة، التي تظهر من خلال التعامل مع الآخرين.

قال أبو بكر الكتانى[١]: "التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف"[٢].

قال ابن القيم –رحمه الله–: "فإن حسن الخلق وتزكية النفس بمكارم الأخلاق: يدل على سعة قلب صاحبه وكرم نفسه وسجيته"[٣].

وفي عوارف المعارف: "التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول. وقال أيضاً: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن؛ لأن النبي قال: **"لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ"**[٤].

وسئل الجنيد بن محمد عن التصوف فقال: "الخروج عن كل خلق ردىء، والدخول في كل خلق سني"[٥].

فما وصفوا به التصوف من أنه حسن الخلق، إنما هو وصف للإسلام، ولما جاء به

---

(١) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني، بغدادي سكن مكة، يعرف بسراج الحرم، صحب الجنيد والخزاز والنوري، توفي سنة ٣٠٢هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ١٠٤)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ٣٥٧). والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٢٦).

(٢) انظر: السهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٢٢٧)، والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١١٠)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٢٣).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (١/ ٤٦٥).

(٤) السهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٤٤).

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، (١/ ٢٢)، وابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٠٢).

النبي صلى الله عليه وسلم، من الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ففي الصحيحين: (**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا**)[1].

فكيف يظهر حسن الخلق عند الصوفية؟ ومنهم متوحدون لا يخالطون الناس، سائحون في الأرض كالمجانين، غارقون في التعبد، تركوا الدنيا وأهلها.

وانظر إلى ما جاء في الصحيح من حديث أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها– أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ**)[2].

حيث ذكرت –رضي الله عنها– أول أخلاقه: (لتصل الرحم) والصوفية سائحون في البرية، أين أرحامهم، بالله كيف يزعم الصوفية أن التصوف خلق.

وذكرت –رضي الله عنها– (وتحمل الكل وتكسب المعدوم) فأين الصوفية من إعانة المحتاج، وهم المعدومون.

وذكرت –رضي الله عنها– (وتقري الضيف)، والصوفية يدعون إلى الفقر محتاجون لمن يطعمهم فضلاً أن يطعموا.

وذكرت –رضي الله عنها– (وتعين على نوائب الحق)، وهذ يحتاج إلى الخطلة بالناس.

---

(١) أخرجه: البخاري، كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم ٦٠٣٥، (٨/ ١٦). وأخرجه: مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٣٢١، (٤/ ١٨١٠).

(٢) أخرجه: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٣، (١/ ٣).

إن أصل الأخلاق التخلق بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، علماً وعملاً والتزاماً وتطبيقاً، وأعظم ما جاء فيهما إقامة العبودية لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فبالتوحيد يعلو الإنسان، وبالشرك ينزل إلى درجة الحيوان، قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾(١) .

فإذا كان التوحيد أعلى مراتب الأخلاق فإن التصوف -اليوم- في دركات الشرك، حتى أصبح أربابه من القبورية التي الذين يعظمون الأموات ويدعونهم من دون الله تعالى، ويذبحون لهم، ويطوفون بقبورهم ويسألونهم قضاء حوائجهم.

فكيف يقال: إن التصوف خلق؟ إذا كان هذا هو الحال!

إن إطلاق أسماء شرعية على التصوف كالزهد والأخلاق والورع والإحسان، وغيرها من الألفاظ التي تتنافر مع ما هو موجود في التصوف، مما لا يجوز لأن فيه إضلال للعامة.

كما لا يجوز تقمص الإسلام وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في صورة مبتدعة واسم مبتدع، فلا يختصر الإسلام في مصطلح التصوف، ولا يقبل التسمي بالصوفية ويترك اسم الإسلام والمسلمين، حتى ولو كان ما عند الصوفية موافق للإسلام، فكيف يقبل لفظه وهو مختلط بين الحق والباطل.

مسألة: لا مشاحة في الاصطلاح:

يُستدَل بهذه القاعدة على عدم بدعية التصوف وقبول لفظه، وهي القاعدة مذكورة في كتب الأصول، ويعبر عنها أيضاً "لا مشاحة في الألفاظ".

---

(١) سورة الأعراف : الآية رقم ١٧٩ .

وهذه القاعدة ليست على إطلاقها –كما بيَّن أهل العلم– إذ لا بد من تقييدها بضوابط مهمة، منها:

١– أن لا مشاحة في الألفاظ بعد معرفة المعاني[١] أو بعد أن حصل الاتفاق على المعاني[٢].

ويظهر إعمال هذه القاعدة فيما لو حصل الاتفاق على المعنى واختلفوا في التسمية أو في اللفظ، فلا بُدَّ إذًا من تقدير تتمَّة لهذه القاعدة وهي: (بعد الاتفاق على المعنى)[٣].

فأهل التصوف مختلفون في معناه واشتقاقه، اختلافـاً طويلاً، وقد أشرنا إلى ذلك.

ولهذا يقال لهم أخبرونا عن معنى التصوف ثم اتفقوا على معنى واحد. ما هو التصوف؟

٢– أن لا يتضمن الاصطلاح مخالفة لما في العلوم الشرعية.

فمن قال التصوف لا مشاحة في لفظه. يقال له: أنه تضمن مخالفات شرعية في الاعتقاد والسلوك والتعبد. كيف وقد اختص أهل البدع بهذا اللفظ!

قال الشيخ عبد الكريم الخضير: "لا مشاحّة في الاصطلاح: وهذه الكلمة يطلقها كثير من أهل العلم وهي بحاجة إلى قيد؛ فهناك من الاصطلاحات ما يشاحح صاحبه، وهناك من الاصطلاحات ما لا مشاحّة فيه، فإذا تضمّن الاصطلاح مخالفةً لما تقرر عند أهل أيِّ علمٍ من العلوم فإنه يشاحح فيه، إذا ترتب على هذا الاصطلاح مخالفة لنص شرعي"[٤].

والتصوف اليوم كله مخالفات، استغاثة بغير الله، ودعاء لغير الله، وطواف بالقبور وتبرك بترابها؛ وبناء القباب عليها، واعتقادات كفرية في الأولياء، وبدع عملية؛ ثم يأتي من يقول لا مشاحة في لفظ التصوف!!

---

(١) الغزالي، المستصفى في علم الأصول، (١/ ٢٣).

(٢) صفي الدين الهندي، نهاية الوصول في دراية الأصول، (٢/ ٥٢٢).

(٣) انظر: د. محمد حسين الجيزاني، قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، (ص٤).

(٤) عبد الكريم الخضير، شرح متن الورقات في أصول الفقه، (ص١٠).

نعم قد يقال عن الزهاد الأوائل صوفية لسلامة معتقدهم وتعبدهم؛ وإن كان ليس على إطلاقه، ففيهم الغالي في تزهده المخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فلم يكن عند علماء أهل السنة والجماعة مشكلة في بداية ظهور التصوف، أن يتسمون صوفية أو زهاد أو عباد أو قراء أو فقراء، إذا كان اعتقادهم سليماً وتعبدهم صحيحاً، فالخلاف في مضمون التصوف اليوم.

فالعبارات لا مشاحة فيها، ولا ينبني على الخلاف فيها حكم، فلا اعتبار بالخلاف فيها[1].

٣- ألا يترتب على الاصطلاح مفسدة.

ذكر ابن القيم -رحمه الله- كلاماً جميلاً بعد نقده مصطلح السكر وأنه يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات ولا سيما في قسم الحقائق، ولا يطلق على كليم الرحمن اسم السكر، ثم فقال : "والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة"[2].

والمفسدة تتضمن ما سبق في اللغة من اشتقاق اسم التصوف على أرجح ما قيل فيه من الغلو في لبس الصوف.

وفي المخالفات المعنى ما يتضمنه التصوف من اعتقادات باطلة وشركيات وبدع ظاهرة، كما يتضمن مصطلح التصوف الخلط بين المصطلحات والغلو فيها كالزهد والفقر والخلوة والعزلة وغيرها؛ أو بين ما هو حق وبين ما هو باطل.

والقاعدة في المصطلحات: أنه إذا كان معناها صحيحاً؛ فإنه لا مشاحة فيها، لكن

---

(١) الشاطبي، الموافقات، (٤/ ٢٢٠).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، (٣/ ٣٠٦).

المشكلة عندما يكون معناها باطلاً، أو يكون مجملاً يشتمل على معنى صحيح ومعنى باطل[1].

فلا يقال في التصوف والصوفية -اليوم ببدعهم الكثيرة وانحرافاتهم العقدية- لا مشاحة في التصوف، لأنه يخالف ضوابط القاعدة الأصولية.

(١) عبد الرحيم السلمي، تأصيل علم العقيدة، (١/ ١١).

المبحث الثاني
المسائل المشكلة في مدح التصوف

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول
أسباب مدح التصوف

وهذا من المسائل المشكلة معرفة السبب الذي من أجله مُدِح الصوف. حيث تتطرح الأسئلة العفوية، لماذا يمدح التصوف؟ وهل التصوف سنة أم بدعة؟ وهل التصوف فيه شيء زائد على الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا لم يكن صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم صوفية!؟ وما الحاجة إلى التصوف إذا كان ما عندهم موجود في الدين والشريعة؟

ومن ثم على أي شيء يتوجه مدْحُ من مدَحَ الصوفية؟ والبحث عن الأسباب التي من أجلها مُدِح التصوف متوقف على صحة ثبوت النقل في مدحهم واستقراء حال الممدوح في ذلك الزمان، وذلك لتغير حال الإنسان؛ والشيطان يعمل دومـاً ليصد الناس عن الصراط المستقيم، فلا يكون المدح مطلقـاً وأبداً.

والله سبحانه مدح بني إسرائيل وفضلهم على العالمين، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1]، وقد بيَّن أهل التفسير ذلك بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالمـاً[2].

---

(١) سورة الجاثية : الآية رقم ١٦ .

(٢) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١/ ٢٤)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ١١٤).

فمدح التصوف –فيما يظهر لي –والله أعلم– يعود لأسباب أهمها:

الأول: إظهارهم التعبد.

والثاني: إظهارهم الزهد.

والثالث: موافقة الزهاد الأوائل لمذهب السلف.

أما الأول: فإن العبادة لا يمدح صاحبها إلا إذا كانت موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، مكتملة بأركانها: (الحب والرجاء والخوف)[1].

قال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾[2] .

والإتيان بشروطها: (الإخلاص والمتابعة)[3].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾[4] ، وتعبد غالب الصوفية لم يستوف الأركان ولا الشروط، فلا يعبدون الله رجاء فيما عنده ولا خوف عذابه، كما يزعمون. بل حتى في تعريفهم للتصوف يصفونه بأنه زهد فيما عند الله –تعالى الله عما يقولون.

---

(١) وهي مستنبطة من أقوال أهل العلم وتفسيرهم، قال القرطبي: "أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، قال الله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾ (سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ ، ٥٠)، فرجى وخوف. فيدعو الإنسان خوفاً من عقابه وطمعا في ثوابه". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٢٢٧).

(٢) سورة الأنبياء : الآية رقم ٩٠ .

(٣) وهي –أيضاً– بالاستقراء والاستنباط من الكتاب والسنة، قال ابن كثير: "فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل". تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٨٢).

(٤) سورة الإسراء : الآية رقم ١٩ .

وقد ذكروا في أقسام العباد وأعلى درجات العبادة، كما في إيقاظ الهمم: "ومنهم من يعبد الله محبة في ذاته وشوقـًا إلى لقائه لا طمعـًا في جنته ولا خوفـًا من ناره ونكاله وهم المحبون العاشقون من السائرين"(١).

وذكروا عن معروف الكرخى -رحمه الله- في قصة رؤيا- أنه عبد الله لا خوفـًا من ناره ولا شوقـًا إلى جنته بل حبـًا له(٢).

وقال أبو سليمان الداراني(٣): "إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله"(٤).

وقال ابن عربي في الفتوحات: "فالعالم من عبد الله لله، وغير العالم من يعبده لما يرجوه من الله من حظوظ نفسه من تلك العبادة"(٥).

وعن علي بن الموفق(٦) -رحمه الله-، كان يقول: "اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفـًا من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم إني أعبدك حبـًا لجنتك فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبـًا مني لك وشوقـًا إلى وجهك فأنجيه واصنع ما شئت"(٥).

---

(١) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، (١/ ١٠٨).

(٢) أبو طالب المكي، قوت القلوب، (٢/ ٩٣)، والغزالي، إحياء علوم الدين، (٤/ ٣١٠).

(٣) أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، الداراني نسبة إلى داريا وهي قرية بغوطة دمشق، وهو عنْسي، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة؛ كان من جلة السادات، وأرباب الجد في المجاهدات، وله أقوال مشهورة، توفي سنة ٢١٥هـ. القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٤). وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/ ١٣١).

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٤/ ٣١٠).

(٥) ابن عربي، الفتوحات المكية، جز٣٧، (٦/ ٢٥٥).

(٦) على بن الموفق، أبو الحسن. من كبار العباد، أكثر من الحج. حدث عنه منصور بن عمار، وابن أبى الحواري. مات سنة ٣٥٩هـ. أبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ٣١٢)، وابن الجوزي، المنتظم، (٥/ ٥٣).

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، (٥/ ٥٣)، والقزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (١/ ١٧٣)

وروي عن رابعة العدوية[1] قالت: "ما عبدته خوفـًا من ناره ولا حبـًا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبـًا له وشوقـًا إليه"، وقالت في معنى المحبة نظمـًا:

أحبك حبين حب الهوى *** وحبـًا لأنك أهل لذاكا

فأما الذى هو حب الهوى *** فشغلى بذكرك عمن سواكا

وأما الذى أنت أهل له *** فكشفك لى الحجب حتى أراكا[2].

وهذا والاعتقاد مشهور عند المتصوفة، وفي بعض الأقوال فساد بيِّن ومنها ما يحتمل معنى له وجه آخر، لكنه غير صحيح كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن قال من هؤلاء: لم أعبدك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، فهو يظن أن الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات، والنار اسم لما لا عذاب فيه إلا ألم المخلوقات، وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة، بل كل ما أعده اللّه لأوليائه، فهو من الجنة والنظر إليه هو من الجنة؛ ولهذا كان أفضل الخلق يسأل اللّه الجنة، ويستعيذ به من النار"[3].

وأما الإخلاص فالله به أعلم؛ لأن صدق النوايا والتوجه إلى الله تعالى وابتغاء ما عنده لا يعلمه أحد إلا هو سبحانه عز وجل، أما خلوص تلك العبادات عن الشرك والشركاء، فإن عبادة متأخري الصوفية تلوثت بشرك الواسطة والتقرب إلى أهل القبور، وهو ذائع مشهور.

---

(١) رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخير البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة؛ كانت من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة، قال ابن كثير: " ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل وابن الجوزي في صفوة الصفوة والشيخ شهاب الدين السهروردى في المعارف والفشيري وأثنى عليها أكثر الناس وتكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة، توفيت سنة ١٨٠هـ. ابن خلكان وفيات الأعيان، (٢/ ٢٨٥). والذهبي، سير الأعلام، (١٥/ ٢٤٢)، وابن كثير، البداية والنهاية، (١٠/ ١٦٨)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٦٨).

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/ ٣١٠).

(٣) ابن تيمية، النبوات، (١/ ٧٢)، ومجموع الفتاوى، (١٠/ ٢٤٠).

وأما متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فهم عنها أبعد، ويكفي دلالة على ذلك كثرة مصادرهم من الكشف والذوق والمنامات ودعوى رؤيا الخضر عليه السلام –ولعله تمثل لهم الشيطان في صورته–؛ ثم إنهم يرون من دواعي البدع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعبد الله بكل ما أمر به. بالله كيف يمدح هؤلاء وهذا حال تعبدهم!؟

فمن يمدح الصوفية من أجل تعبدهم دون تمييز بين ما وافق الشرع وما خالفه؛ فهو يمدح الابتداع في الدين، لأن البدع كثيرة عندهم؛ وأخطر من ذلك أن يقع المدح على الشرك لأن جهلهم بحقيقة التعبد جرهم إلى صرف العبادات لغير الله تعالى.

وأما الثاني: إظهار الزهد، وهو باب واسع فيه حق وباطل. والغالب عند المتصوفة فيه خلط بين الحق والباطل، سواء كانوا من المتقدمين الزهاد العباد المشهورين، أو من المتأخرين الدراويش أصحاب التكايا.

وكثير من المتصوفة لا يعرف معنى وحقيقة الزهد، وأصبح حالهم كحال المجانين والدراويش والبله سائحين في الأرض.

وأما الثالث: فإنه أعم حيث يجمع الوصفين السابقين السالمين من المخالفة، أي: أن الزهاد لما جمعوا بين التعبد الصحيح والزهد الذي لا غلو فيه، وبين الاعتقاد الموافق لما عليه سلف الأمة، مدحهم أهل العلم وذكروا تصوفهم، ولم يكن يومئذ طوائف ولا فرق ولا جماعات.

لكن هل يمدح طريق الزهاد والعباد ويترك الطريق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليه أصحابه رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء، أو طريق أحد من العباد والنساك: أفضل من طريق الصحابة، فهو مخطئ،

ضال مبتدع. ومن جعل كل مجتهد في طاعة، أخطأ في بعض الأمور: مذمومـًا، معيبـًا، ممقوتـًا. فهو مخطئ، ضال مبتدع"[1].

وهذا كلام في غاية الإنصاف -وهو موقف ثابت وراسخ لشيخ الإسلام عن التصوف- فلا يمدح الطريق الذي سلكوه ويفضله على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يضلل من اجتهد من أهل التصوف وأخطأ في بعض الأمور التي لا تمس جناب العقيدة.

فمدح الزهاد مطلقـًا دون بيان ما وقعوا فيه من أخطاء مشكل على كثير من الناس، لما يُشعِر من مدح التصوف، حيث أصبح من الشبه المتكررة عند المتصوفة أن العلماء مدحوا الجنيد -رحمه الله- وغيره من مشاهير التصوف، بل حتى مدح أئمة التابعين الذين ينسبهم الصوفية للتصوف كالحسن البصري[2] -رحمه الله- يعد من الشبه ليتكثروا به وبغيره.

المطلب الثاني
الأقوال المنقولة عن الأئمة في مدح التصوف

من المسائل المشكلة أقوال الأئمة الأعلام-رحمهم الله- مدح في التصوف والصوفية؛ وهي مرتبطة بما تقدم من أسباب مدح التصوف، و تتعلق اقوالهم هنا بحقيقة المراد بالتصوف ومعنى الصوفية، فتشتمل أقوالهم على عدة مسائل مشكلة منها:

---

(١) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (ص٤)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ١٥).

(٢) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، ويقال: إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة، وكانت جنازته مشهودة. ابن حبان، الثقات، (٤/ ١٢٢)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٦٩).

- عدم فهم مرادهم بلفظ التصوف.
- عدم فهم مرادهم بلفظ الصوفية.
- الكذب على الأئمة.
- قص القول وبتره للاستشهاد على مدح التصوف.

وهذه الأقوال يذكرها الصوفية كشبه وذريعة لمدح ما هم عليه، وهو باب يكثر فيه الوضع والكذب، وإن كان فيها من نقول صحيحة، تحتاج إلى توجيه، إذ إن من الأقوال ما هو مدح صريح، ومنها ما ظاهره المدح، ومنها ذم صريح للتصوف والصوفية، وبعضها متعارض، ولهذا قد نذكر ما جاء في ذمهم إذا نقل عن إمام قولان متعارضان، للترجيح بينهما أو لتوجيه المدح.

وهؤلاء الأئمة من أهل السنة والجماعة لا نعتقد عصمتهم، فقد يزكي الإمام شخصاً ويمدحه ويذمه آخر؛ فإنه حكم بما رأى وخفي عليهم ما رءاه غيره؛ فإذا ثبت المدح عن إمام للتصوف، فإنه يخرج على أمرين:

أولاً: أنه غير معصوم، فالخطأ يقع من أي شخص -غير الرسول صلى الله عليه وسلم- إذ لم يظهر له ما عندهم من الغلو والشطط.

ثانيًا: أن المدح لا يحمل على التصوف كطائفة أو فرقة خارجة عن أهل السنة والجماعة، مخالفة لما كان عليه سلف الأمة، وإنما يحمل على مدح الزهد والتعبد الموافق للسنة وصحة الاعتقاد عند من رأوا من الزهاد.

أما إذا تعارض عن الإمام قولان في المدح والذم؛ فإن القاعدة عند أهل مصطلح

الحديث أن الجرح مقدم على التعديل. قال السيوطي[1] –رحمه الله–: "وإذا اجتمع فيه –أي: الراوي– جرح مفسر وتعديل؛ فالجرح مقدم، ولو زاد عدد المعدل هذا هو الأصح عند الفقهاء والأصوليين ونقله الخطيب عن جمهور العلماء، لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدل"[2].

وكما قال في قصب السكر:

... والحكم إن يختلفا للجرح

فإنه مقدم إذا صدر ... مبينـاً من عارف وافي النظر[3]

وقد قال الإمام مالك –رحمه الله– في بيان عدم العصمة لأحد: "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه (ويترك) إلا صاحب هذا القبر"[4].

فلا يسلم لأي أحد كان في مدح التصوف، إما أن يحمل على وجه معتبر، أو يرد القول بتضعيفه أو عدم قبول معناه، وهو نوع من التوجيه لا التجهيل.

وسأكتفي بأقوال الأئمة الثلاثة من أصحاب المذاهب الأربعة عدا الإمام أبو حنيفة –

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ يتيمـاً، وقرأ العلم واجتهد وألف وكتب وبرع وجمع ومن كتبه: "الإتقان في علوم القرآن" و"الأشباه والنظائر" و"تاريخ الخلفاء". توفي سنة ٩١١هـ. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، (٢/ ٢٤٨)، والزركلي، الأعلام، (٣/ ٣٠١).

(٢) السيوطي، تدريب الراوي، (١/ ٣٠٩).

(٣) الصنعاني، منظمة نخبة الفكر (قصب السكر على نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)، (١/ ٩)، وانظر: الصنعاني، إسبال المطر على قصب السكر، (١/ ٣٧٤).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٨/ ٩٣)، والعجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، (٢/ ١١٩).

رحمهم الله جميعـًا-، فلم أقف على قول له في الصوفية، وثلاثة من أئمة أهل السنة والجماعة شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن القيم -رحمهم الله- لوقوع الشبهة في أقوالهم.

ما نقل عن الإمام مالك في الصوفية:

انتساب بعض طوائف المتصوفة لمذهب الإمام مالك في الفقه، قد يكون سببـًا في ذكر مدح الإمام مالك للتصوف[1] ولتعرضهم لمسائل الاعتقاد في شرحهم للفقه المالكي، حيث يُروى عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"[2].

وهذا النقل يوجد عند الصوفية فقط في كتبهم! ولهذا يقال أين قال الإمام مالك هذا القول؟ ومن نقله عنه من أهل المذهب أو من أهل التراجم أو التاريخ؟

كما أن هذا النقل يتعارض مع أقواله المشهورة التي ذكرها علماء المذهب عنه في التصوف، منها: ما ذكره القاضي عياض -رحمه الله- في ترتيب المدارك عن التنيسي[3]،

---

(١) وكثير من طوائف الصوفية يقولون: "إنهم على مذهب مالك وعقيدة الأشعري وطريقة الجنيد السالك" وكأن إمام المذهب وإمام دار الهجرة ليس له عقيدة!! قال ابن عاشر في المرشد المعين:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك.

انظر: ابن عاشر، عبد الواحد ابن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، (ص٢)، والفتحي محمد بن محمد المراكشي، الحبل المتين نظم المرشد المعين، (ص٣).

(٢) زروق، أحمد بن أحمد البرنسي المغربي، قواعد التصوف، (ص١٥).

(٣) عبد الله بن يوسف التنيسي أبو محمد الكلاعي المصري أصله دمشقي نزل تنيس، قال يحيى بن معين: أثبت الناس في الموطأ عبد الله بن مسلمة القعنبي وعبد الله بن يوسف التنيسي بعده. المزي، تهذيب الكمال، (١٦/ ٣٣٥). ابن حجر، تهذيب التهذيب، (٦/ ٧٩).

قال: "كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله، عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون. فقال مالك: الصبيان هم؟ قال: لا. قال: أمجانين؟ قال: لا، قوم مشائخ. قال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا، قال الرجل: يأكلون ثم يقومون فيرقصون نوائب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه فضحك مالك ثم قام فدخل منزله"[1].

والفرق واضح بين النقلين من حيث القوة والإسناد، وحيث لا يمكن الجمع بينهما أبداً، فهل نثبت رواية مجهولة على نقل لأحد أثبت رواة الموطأ عنه!؟

وهذا يدل على أن الإمام مالك وأهل المدينة -رحمهم الله- لا يعرفون التصوف، ولا ظهر قِبَلهم، ولم يروه، وإن كانت القصة تدل على ظهور التصوف في بلاد العجم في زمانه.

ما نقل عن الإمام الشافعي في الصوفية:

روى ابن الجوزي عن الشافعي -رحمة الله عليهما- قال: "صحبت الصوفية عشر سنين، ما استفدت منه إلا هذين الحرفين: الوقت سيف وأفضل العصمة أن لا تقدر"[2].

وذكرها ابن القيم -رحمه الله- عنه بعبارة أخرى: "صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين؛ سمعتهم يقولون: الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك. ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل". قال ابن القيم: "قلت يا لهما من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته ويكفي في هذا ثناء الشافعي

---

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، (١/ ٥٥). وروى عن مروان بن محمد الظاهري الدمشقي، ممن روى عن الإمام مالك وصحبه- قال: "ثلاثة لا يؤتمنون في دين: الصوفي والقصاص ومبتدع يرد على أهل الأهواء"، (١/ ١٥٠).

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٤١٣).

على طائفة هذا قدر كلماتهم"[١].

هذا النقل لم أقف عليه إلا في كتب ابن القيم -رحمه الله- وبغض النظر عن ثبوت ذلك عنه، فهل العبارة بهذا السياق تفيد المدح أو الذم؟ وهل هو ثناء على الطائفة؟ أو ثناء على الزهاد!

فهي محتملة للمدح والذم لكن على فرض ما ذهب إليه ابن القيم -ولا أرى ما ذهب إليه- أنه مدح وأن الصوفية جمعوا الاهتمام بالوقت والاشتغال بالحق.

والعبارة تتعارض مع ما هو أصح منها فيما نقل عن الإمام الشافعي -رحمه الله-.

فقد رُوي عن يونس بن عبد الأعلى[٢] -رحمه الله- قال: سمعت الشافعي يقول: "لو أن رجلاً تصوف أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق"[٣].

وقال أيضـًا: "أسس التصوف على الكسل"[٤].

وقال – أيضـًا : "مَا لزم أحد الصوفية أربعين يومـًا فعاد عقله إليه أبدا"[٥].

وهذا ذم صريح واضح لا يحتمل أي تأويل، ولا يتأتى الجمع بين المدح المحتمل في النقل الأول وهذا الذم الصريح في هذين النقلين.

ونقل عنه مدح بعبارة ركيكة، وهي: "وأنا حبب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف،

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٣/ ١٢٩). والجواب الكافي، (١/ ١٠٩).

(٢) أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان، الصدفي المصري الشافعي؛ أحد أصحاب الشافعي، والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له، وكان كثير الورع متين الدين، وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم، لم يشاركه في زمانه في هذا أحد، قرأ القرآن على ورش وغيره وأقرأ الناس، توفي سنة ٢٦٤هـ. ابن حبان، الثقات، (٩/ ٢٩٠)، والسبكي، طبقات الشافعية، (٢/ ١٧٠)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٧/ ٢٤٩).

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، (٢/ ٢٠٧). بإسناد صحيح.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، (٩/ ١٣٧)، وابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٣٨٩).

(٥) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٤٤٧).

وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما الشافعي فالمنقول عنه ذم الصوفية، وكذلك مالك فيما أظن وقد خاطب به أحمد لأبي حمزة الخراساني[2]، وليوسف بن الحسين الرازي[3]، ولبدر ابن أبي بدر المغازلي[4]، وقد ذم طريقهم طائفة من أهل العلم، ومن العباد أيضًا من أصحاب أحمد، ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأهل الحديث، والعباد، ومدحه آخرون .

والتحقيق فيه أنه مشتمل على الممدوح والمذموم، كغيره من الطريق، وأن المذموم منه قد يكون اجتهاديـًا، وقد لا يكون، وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في الرأي فإنه قد ذم الرأي من العلماء والعباد طوائف كثيرة، والقاعدة التي قدمتها تجمع ذلك كله، وفي المتسمين بذلك من أولياء اللّه وصفوته، وخيار عباده ما لا يحصى عده. كما في أهل الرأي من أهل العلم والإيمان من لا يحصى عدده إلا الله"[5].

---

(١) العجلوني، كشف الخفاء، (١/ ٣٤١). ولم أقف على النقل في غيره من الكتب، وهو أثر طويل مسلسل بالأئمة الأربعة وقبلهم بعض الصحابة رضي الله عنهم وجبريل عليه السلام كلهم يقولون حبب لنا من دنياكم ثلاث!!

(٢) أبو حمزة الخراساني، أصله من محَّلة ملقاباذ بنيسابور، من أقران الجنيد، والخرَّاز وأبي تراب النخشبي. وكان ورعـًا، ديِّنـًا، توفي سنة ٢٩٠هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٩٤)، والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٢٥).

(٣) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي شيخ الري والجبال في وقته: وصفه في الحلية: المتخلي من رؤية الناس المتحلي بالإخلاص خيفة رب الناس تارك للتزين والتصنع مفارق للتلون والتمنع، كان وحيدا فريدا وعلى المتنطعين شديدا صحب ذا النون المصري، توفي سنة ٣٠٤هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٦٣)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ٢٣٨)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٦٣).

(٤) المغازلي: أبو بكر بدر بن المنذر المغازلي قيل: اسمه أحمد البغدادي العابد، صحب الإمام أحمد وللصوفية غلو فيه وأنه من الأبدال، ممن عرف له أحوال عجيبة. توفي سنة ٢٨٢هـ. أبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ٣٠٥)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٣/ ٤٩٠).

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/ ٣٧٠).

ما نقل عن الإمام أحمد في الصوفية:

أنه قال: "لا أعلم أقواماً أفضل منهم، قيل إنهم يستمعون ويتواجدون قال دعوهم يفرحوا مع الله ساعة"[١].

وقد حكم الذهبي على هذه الحكاية بالوضع ووافقه ابن حجر –رحمهما الله–، قال الذهبي في ترجمة على بن الحسن الطرسوسي[٢]: "صوفي وضع حكاية عن الإمام أحمد في تحسين أحوال الصوفية"[٣].

وقال ابن حجر –رحمه الله : "علي بن الحسن الطرسوسي صوفي وضع حكاية عن الإمام أحمد في تحسين أحوال الصوفية"، والحكاية المذكورة روينا في الطيوريات[٤] أن الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– قيل له: إن هؤلاء الصوفية جلوس في المساجد بغير علم، قال العلم: أفقدهم قبل له فإن همتهم كسرة وخرقة فقال لا أعلم عزا ممن هذا صفتهم قيل فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون قال دعهم ساعة يفرحون بربهم"[٥].

---

(١) ابن مفلح، الفروع، (٥/ ٢٣٨)، والبهوتي، كشاف القناع، (٥/ ١٨٤). مصطفى الرحيباني، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، (٥/ ٢٥٣).

(٢) علي بن الحسن بن المترقف المصري، مجهول. انظر: ابن حجر، لسان الميزان، (٤/ ٢٢٠).

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، (٣/ ١٢٢)،

(٤) الطيوريات: أجزاء حديثية انتقاها أبو طاهر السلفي على ابن الطيوري: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبد الله البغدادي الصيرفي ابن الطيوري. الشيخ الامام، المحدث العالم المفيد، بقية النقلة المكثرين، المتوفى سنة ٥٠٠هـ. وقال ابن حجر: الطيوريات: انتخاب السلفي من حديث أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطيوري في مجلدين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢١٣)، وابن حجر، تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، (٢/ ١).

(٥) ابن حجر، لسان الميزان، (٤/ ٢٢٠).

والذي ذكره الحنابلة عن الإمام أحمد -رحمه الله- ذم الصوفية، قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي، فقال: لصاحب له لا أرى لك أن تجالسهم"[1].

وإن كان المشهور في نهي الإمام أحمد عن مجالسة الحارث المحاسبي لموافقته الكلابية في بعض بدعهم الكلامية فأمر الإمام بهجره[2].

ولا يمنع الجمع أن يكون هجره لتصوفه ولبدعه الكلامية، لاشتهار السببين عنه عند علماء المذهب.

قال ابن مفلح[3] -رحمه الله- في الفروع: "وقد ذكر لأحمد بن حنبل كلمات عن إبراهيم بن أدهم فقال وقفنا في ثَنِيَّات الطَّريق عليك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكلَّم أحمد في الحارث المُحَاسبيِّ وبلغه عن سَرِيٍّ السَّقطِيِّ[4] أنَّه قال

---

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٠٦). وذكرها ابن مفلح في الفروع بعبارة مختلفة وفيها: "ولا أرى لك صحبتهم". الفروع، (٥/ ٢٣٨). ونحوها لابن بدران، في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، (١/ ٤٢).

(٢) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (٣/ ٣٧٠)، ومجموع الفتاوى، (١٢/ ٩٥).

(٣) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني، أبو عبد الله شمس الدين المقدسي، اشتغل في الفقه وبرع فيه، وصنف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء وله على كتاب المقنع شرح في نحو ثلاثين مجلدة، وكان أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وقد أثنى عليه، وتوفى بدمشق سنة ٧٦٣هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٦/ ١٤). وابن العماد، شذرات الذهب، (٦/ ١٩٨).

(٤) أبو الحسن سري بن المغلس السقطي أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة عند الصوفية؛ قيل: كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي، توفي سنة ٢٥١هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣١)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ١١٧)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٣٥٧).

لمَّا خلق الله تعالى الْحُروف وقف الألِف وسَجدتْ الْبَاء فقال نفِّرُوا الناس عنه"[1].

وقال ابن رجب[2] -رحمه الله-: "وإنَّما ذمَّ أحمدُ وغيرُه المتكلمين على الوساوس والخطرات من الصوفية، حيث كان كلامُهم في ذلك لا يستندُ إلى دليلٍ شرعيٍّ، بل إلى مجرَّد رأي وذوقٍ، كما كان ينكرُ الكلامَ في مسائلِ الحلال والحرام بمجرَّدِ الرَّأي من غير دليلٍ شرعيٍّ"[3].

وأكَّد ذلك ابن كثير[4] -رحمه الله- من الشافعية بقوله: "إنَّما كره ذلك; لأنَّ في كلام بعض هؤلاء من التَّقَشُّفِ الَّذي لم يرد به الشَّرْع، والتَّدْقِيقُ والتَّنْقِيرُ والمحاسبة البليغة ما لم يأت به أمر"[5].

وإن كان هناك فرق بين مدح التصوف الذي هو الزهد والتعبد، وبين مدح الصوفية؛ فإنه لم يثبت لديَّ أن أحداً من الأئمة الأربعة مدح الصوفية.

---

(١) ابن مفلح، الفروع، (٦/ ٣٨٢).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب واسمه عبد الرحمن بن الحسن ابن محمد بن أبى البركات مسعود البغدادى الدمشقى الحنبلى الشيخ المحدث الحافظ زين الدين ولد ببغداد سنة ٧٠٦هـ، وقدم دمشق مع والده، وصنف شرح الترمذى، وذيل الطبقات للحنابلة واللطائف فى وظائف الأيام بطريق الوعظ وفيه فوائد والقواعد الفقيه أجاد فيه وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، مات سنة ٧٩٥هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٣/ ١٠٨)، ابن العماد، شذرات الذهب، (٦/ ٣٣٨).

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٥٥).

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي، عماد الدين ولد سنة ٧٠٠هـ ومات أبوه بعدها بيسير، ونشأ بدمشق وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وابن الرضى وطائفة، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية وعمل طبقات الشافعية، توفي سنة ٧٧٤هـ. ابن حجر، الدررالكامنة، (١/ ٤٤٦). وابن قاضي شهبة، طقبات الشافعية، (٣/ ٨٥)، والأندروي، طبقات المفسرين، (١/ ٢٦٠).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٠/ ٣٣٠).

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التصوف:

يستدل بعض الصوفية من كلام شيخ الإسلام على نصرة التصوف في مسائل متفق عليها عند أهل السنة والجماعة مثل كلامه على الكرامات والمكاشفات للأولياء، وفي مدح زهاد الصوفية، كما أن بعضهم يبتر كلامه ويتعسف في تطويعه، وفي الجانب الآخر يتعرضون له ويهاجمونه حقداً عليه، وهو دأب أرباب الفرق والطوائف المنحرفة تجاهه، لأنه فند أصول عقائدهم وانحرافاتهم، ونذر نفسه وجهده وعلمه، لحماية جناب التوحيد والعقيدة.

ومن المسائل المشكلة شبه المتصوفة في كلام شيخ الإسلام، وأبرز تلك الشبه:

أولاً: استدلال الصوفية من كلام ابن تيمية على موافقتهم.

حيث يقتص بعض المتصوفة من كلامه، على أنه يؤيد التصوف وأكثر استشهاداتهم فيما يتعلق بإثبات الكرامات والمكاشفات وغيرها، من الأمور المسلمة عند أهل السنة والجماعة، مع عدم الفهم لكلامه والرجوع إلى أوله. ومن ذلك:

١/ في قوله ابن تيمية –رحمه الله–: "وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الأحوال الزكية والطريقة المرضية، وله المكاشفات والتصرفات"[1].

والمكاشفة التي يقول بها شيخ الإسلام، وما يعتقده أهل السنة تختلف في معناها الذي هو عند الصوفية، فعند أهل السنة ما يقع بعد مرتبة الإحسان من الكرامات ويفتحه الله على العبد من علم وغيره، بتأييد الله لأنبيائه وأوليائه بالملائكة عليهم السلام.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "أن ما كان يحصل للرسول من العلم والقدرة من المكاشفة والتأثير في العالم، حاصل بما هو خارج عن قوى نفسه من العلم الذي تنزل به

(١) ابن تيمية، الوصية الكبرى، (١/ ٧)، ومجموع الفتاوى، (٣/ ٣٧٦).

الملائكة، والنصر الذي تنزل به الملائكة وأيضـًا"[1].

وقال –أيضـًا–: ""فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره؛ وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومنامـًا، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيـًا وإلهامـًا، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفـًا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفـًا ومكاشفة أي: كشف له عنه"[2].

أما الصوفية فقد جعلوا معنى المكاشفة اعتقاد أن الأولياء يطَّلِعون على الغيب بالمكاشفة وشهود الحقائق، وعبر عنها الهروي بقوله: "المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً"[3].

وقال الجرجاني[4] – رحمه الله : "الكشف في اللفظ رفع الحجاب، وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً"[5].

وقال الطوسي –رحمه الله : "واليقين هو المكاشفة، والمكاشفة ثلاثة على أوجه: مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان ومكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة السلام بالمعجزات ولغيرهم بالكرامات والإجابات"[6].

---

(١) ابن تيمية، الصفدية، (١/ ٢٠٦).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١/ ٣١٣)، ومجموعة الرسائل والمسائل، (٥/ ٣).

(٣) انظر: الهروي، منازل السائرين، (ص١١٣).

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، صنف التعريفات وشرح مواقف الإيجي، وتحقيق الكليات وغيرها، توفي سنة ٨١٦هـ. عمر كحالة، معجم المؤلفين، (٧/ ٢١٦)، والزركلي، الأعلام، (٥/ ٧).

(٥) الجرجاني، التعريفات، (١/ ٢٣٧).

(٦) الطوسي، اللمع، (ص١٠٢).

وقال أبو طالب المكي[1] -رحمه الله-: "من أقيم مقام مقامات المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من ذات، وهو سرّ علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب، لأن الكشف يتنوّع أنواعـًا من المعاني، فمنه كشف معاني الآخرة، ومنه كشف بواطن الدنيا، ومنه الاطلاع على حقائق الأشياء المستورة لظواهر الأحكام، فهذا من سر الملكوت، ومن معاني كشوف الجبروت"[2].

وقال القشيري: "المكاشفة: وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمُّل الدليل، وتطلب السبيل، ولا مستجير من دواعي الريب. ولا محجوب من نعت الغيب"[1].

فحاصل ما يقع بالمكاشفات عند أهل السنة والجماعة وما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية، يكون كالإلهام والفراسة وما يفتحه الله على الإنسان من علوم ومعارف وفهم. وإثبات المكاشفة والكرامات عمومـًا يكون من باب جواز وقوعها وتأييد الله عز وجل لمن يشاء بما شاء سبحانه، لا بقدرة العبد وإرادته. بخلاف دعوى الصوفية القائلين إن الولي إذا قال للشيء كن فيكون، تعالى الله عما يقولون.

٢/ ومن ذلك قوله: "أن التوكل عليه بمنزلة الدعاء على أصح القولين أيضًا سبب

---

(١) أبو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي المكي صاحب كتاب "قوت القلوب"؛ المكي المنشأ العجمي الأصل، وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيراً حتى قيل عنه: هجر الطعام زمانـًا واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها، توفي سنة ٣٨٦هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٤/ ٣٠٣)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/ ٥٣٦).

(٢) أبوطالب المكي، قوت القلوب، (١/ ٣٨٦).

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٣٩).

لجلب المنافع ودفع المضار، فإنه يفيد قوة العبد وتصريف الكون ولهذا هو الغالب على ذوي الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم، وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر، وتارة بما يخالفه"[1].

والصوفية يقصون هذه العبارة ويقولون إن ابن تيمية نص على أن الولي يتصرف في الكون، بفهم خاطئ لهذه العبارة، واستدلالاً بها على عقائدهم الباطلة في الأولياء.

الرد من وجوه:

- **الأول**: في معنى العبارة: فهي شرح لكلام عبد القادر الجيلاني[2] حيث قال قبل ما تقدم: "من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد"[3].

ثم قال: قلت: "هذا من جهة الرب تبارك وتعالى": فالأولتان: العبادة والاستعانة، والآخرتان: الطاعة والمعصية"[4].

فابن تيمية -رحمه الله- يرى أن التصرف في الكون يحصل من الله للعبد الذي استعان به وتوكل عليه وهو معنى حصول الكرامة كأن ينزل الله مطراً أو يشق له بحراً وغير ذلك.

والثاني: أنه نبه على شيء مهم بقوله: "قلت: هذا من جهة الرب تبارك وتعالى". أي:

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/ ٥٥٠).

(٢) أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي ويقال: الجيلاني، الحنبلي، شيخ بغداد، مولده بجيلان في سنة ٤٧١هـ، وكان له وعظ وصمت وسمت حسن على منهج السلف وألف الغنية لطالبي الحق عز وجل وفتوح الغيب وغيرهما، غلا فيه بعض الصوفية، واعتقدوا فيه عقائد باطلة؛ وانتسبت له الطريقة القادرية، وهو بريء من كل ذلك، توفي سنة ٥٦١هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٤٣٩)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٤١).

(٣) أصل الكلام حكاية عن من رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني في المنام يقول إخباراً عن الحق تعالى. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/ ٥٥٠).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/ ٥٤٩).

أن كل ما يقع في الكون فهو من الله تعالى، وأن العبد الذي يقبل على الله بالعبادة ويستعين به ويترك المعصية لأجله يسخر الله له ما في الكون؛ وهذا خلاف معتقد المتصوفة الذين يرون أن الولي يتصرف في الكون يخلق ويرزق ويضر ويمنع ويعطي ويفعل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الثالث: أن التصرف في الكون لا يلزم أن يكون خارقاً للعادة مثل البناء والحفر والزرع، ومن ما يكون محرماً كالسحر والدجل والشعوذة.

٣/ وأيضاً قوله: "والآيات التي يبعث الله بها أنبياء قد يكون مثلها لأنبياء أُخر، مثل إحياء الموتى فقد كان لغير واحد من الأنبياء، وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء كما قد وقع لطائفة من هذه الأمة"[١].

وهذا القول يذكره بعض الصوفية ليستشهدوا به على باطلهم وزعمهم؛ أن الأولياء يخلقون، ولهم القدرة على قلب الأعيان، وإحياء الموتى.

الرد على ذلك من وجوه:

الأول: أن كل ما سيق في إحياء الموتى للأنبياء عليهم السلام أو لغيرهم فإنه بإذن الله تعالى، فليس وقوع ذلك لأحد بإطلاقه، وهذا الملحظ هو فارق بين معتقد أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من أهل الفرق في جميع الكرامات، حيث تعتقد الفرق الضالة أن الولي ينزل المطر ويعطي الولد ويحيي الموتى بقدرته، وأن الولي إذا قال للشيء كن فيكون[٢].

---

(١) ابن تيمية، النبوات، (١/ ٢١٣). وأشار أيضاً إلى إحياء الموتى في الجواب الصحيح، (٢/ ٤٠٠)، ودرء التعارض، (٤/ ٦٠)، وفي الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حيث ذكر قصة: صلة بن أشيم -رحمه الله- مات فرسه في الغزو فأحيا الله له فرسه، (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: الفيوضات الربانية في المآثار والأوراد القادرية، قصيدة الوسيلة (ص٤٤):

الثاني: أن الأولياء دون الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قطّ إلى مثل معجزات المرسلين[1].

فكونه أثبت وقوع إحياء الموتى لغير الأنبياء -عليهم السلام- لا يعني أنه يقول كما تزعم المتصوفة في الأولياء، وليس في ذلك مدحـًا للتصوف، بل الكلام ورد معرض الرد على النصارى بأن المسيح عليه السلام ليس بإله ولا يستحق العبادة، وأن أعظم آياته إحياء الموتى فقد وقعت لغيره، وكلهم لا ينزلون منزلة الإله المعبود. كما أن إحياء الموتى يكون في سياق قدرة الله عز وجل على بعث الخلائق، فيحي الله بإذنه على يد نبي أو ولي ميت ليعلم الناس أن الله على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[2].

ثانيـًا: مدح ابن تيمية زهاد الصوفية.

ومن الحجج الواهية والمتكررة عند الصوفية مدح الأئمة والعلماء لزهاد الصوفية ومن ذلك ما يزعمه بعض الناس أن شيخ الإسلام مدح الصوفية، وهذا ليس بصحيح؛ وإنما أثنى على الزهاد الذين كانوا على السنة، وهي قاعدة عامة عند أهل العلم مدح من وافق السلف في معتقدهم وإن انتسب للتصوف أو وقع منه خطأ في السلوك وغيره، ولهذا

وأمري أمر الله إن قلت كن يكن ... وكل بأمر الله أحكم بقدرتي.

وانظر: البرعي السوداني، رياض الجنة ونور الدجنة قصيدة العارفون بالله (ص١٥٧):

ألا يا رجال الغيب أنتم حصوننا ... فما زال مسبولا على الناس ستركم

أيلحقني ضيم وأنتم حمايتي ... وألهث عطشانـًا وقد فاض بحركم

فحاشى وحاشى أن تضيع عيالكم ... وأنتم عيال الله والأمر أمركم

إذا شئتم شاء الإله وإنكم ... تشاؤون ما قد شاء لله دركم

(١) انظر: ابن تيمية، النبوات، (١/ ١٤٣).

(٢) سورة البقرة : الآية رقم ٧٣ .

يفرق شيخ الإسلام بين زهاد الصوفية والملاحدة منهم[1].

وفي مدح شيخ الإسلام ابن تيمية للزهاد أنبه على مسائل مهمة:

المسألة الأولى: أنه أراد الرد على الصوفية:

أي: أنه يرد على الصوفية ببيان موافقة مشايخهم الأوائل لعقيدة السلف الصالح ومن ذلك:

- قوله: "ولهذا كان أئمة الهدى ممن يتكلم في العلم والكلام أو في العمل والهدى والتصوف، يوصون باتباع الكتاب والسنة، وينهون عما خرج عن ذلك، كما أمرهم الله والرسول - صلى الله عليه وسلم- وكلامهم في ذلك كثير منتشر مثل قول سهل ابن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل"[2].

من ذلك نقله عن صاحب الحلية: فقال: "الحافظ أبو نعيم الأصبهاني[3] في العقيدة المشهورة عنه طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة فما اعتقدوه اعتقدناه فمما اعتقدوه، أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه، يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن

---

(١) انظر: قوله: "وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلا؛ فإن أكثر مشائخ الطريق أنكروه، وأخرجوه عن الطريق". ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١/ ١٨).

وانظر: العريفي، د. محمد بن عبد الرحمن، موقف ابن تيمية من الصوفية، (ص٣٨٩) وما بعدها.

(٢) ابن تيمية، الاستقامة، (٢/ ١٥٠).

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الثقة العلامة، الصوفي، الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء، وصاحب " الحلية "، ولد سنة ٣٣٦هـ، عمل "معجم" شيوخه، وكتاب "الحلية "، و "المستخرج" توفي سنة ٤٣٠هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٩١)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧/ ٤٥٣).

الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه"[٤].

وهذا منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات، يثبتون ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف.

– وقال: "ومن متأخريهم –أراد الصوفية–: الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قال في كتاب «الغنية»[١]: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد– إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[١] ، ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾[٢] ، ولا يجوز وصفه بأنه في مكل مكان؛ بل يقال: إنه في السماء على العرش، وذكر آيات وأحاديث، إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، قال: وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف. وذكر كلامًا طويلاً لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا"[٣].

---

(٤) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، (٢/ ٤٠).

(١) انظر: عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، (ص١٢١) وما بعدها.

(١) سورة فاطر : الآية رقم ١٠ .

(٢) سورة السجدة : الآية رقم ٥ .

(٣) ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، (١/ ٤٧٩).

وليس في الكلام مدح وإنما بيان لاعتقاد صحيح، ليرد على من سلك التصوف وزعم أن هؤلاء الأئمة قدوته، وما ذكره عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، لا يثبته كثير من الصوفية، بل وحتى من ينتسب إليه من القادرية وغيرها من الطرق على خلاف قوله، ويزعم بعضهم أن هذا مما كُذِب عليه ودُسَّ في كتبه، مع إقرارهم بصحة نسبة الكتاب المذكور إليه.

ومما ذكره عن زهاد الصوفية وموافقتهم لعقيدة السلف -التي ابتعد عنها الصوفية- فقال: "وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني[1] -شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة قبل القشيري في رسالة له- أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين، قال فيها: إن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ... وأن الله سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء"[2].

وقال -أيضًا-: "ولهذا كان أئمة الهدى ممن يتكلم في العلم والكلام أو في العمل والهدى والتصوف يوصون باتباع الكتاب والسنة، وينهون عما خرج عن ذلك كما أمرهم الله والرسول، وكلامهم في ذلك كثير منتشر، مثل قول سهل بن عبد الله التستري

---

(١) أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصفبهاني الصوفي الزاهد كان من كبار المشايخ، وله قدم في الفقه والصلاح، ذكر الذهبي له أبيات شعر في سير الأعلام، توفي سنة ٤٢٢هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/ ١٢)، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (١/ ٤٧٨).

(٢) ابن تيمية، الاستقامة، (١/ ١٦٨).

كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل"[1].

فالمنتسبون للتصوف قديماً ممن كانوا على ما عليه أهل الحديث والأثر، يحمدون على ما قاموا به من الحق دون ما سواه، فالمدح لمن كان حاله كذلك ليس لمن هو صوفي أو تسمى بأي اسم آخر.

المسألة الثانية: الاعتذار لمشايخ الصوفية الذين وافقوا منهج السلف.

ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على ما نسب زوراً للشيخ عبد القادر الجيلاني فقال: "من قرأ آية الكرسي واستقبل جهة الشيخ عبد القادر الجيلاني –رضي الله عنه– وسلم عليه وخطا سبع خطوات، يخطو مع كل تسليمة خطوة إلى قبره، قضيت حاجته، أو كان في سماع فإنه يطيب ويكثر تواجده؛ فهذا أمر القربة فيه شرك برب العالمين.

ولا ريب أن الشيخ عبد القادر لم يقل هذا ولا أمر به، ومن يقل مثل ذلك عنه فقد كذب عليه، وإنما يحدث مثل هذه البدع أهل الغلو والشرك، المشبهين للنصارى من أهل البدع الرافضة الغالية في الأئمة ومن أشبههم من الغلاة في المشايخ"[2].

وهنا فرق بين ما أثبته في كتبه وبين ما تناقله الناس مما لا يوجد في كتبه فنفيه عنه لأمور منها:

- أنه لا يوجد في كتبه.
- صحة معتقد الشيخ عبد القادر الجيلاني وأنه كان على مذهب السلف.
- أن القول المذكور يتناقض مع ما ذكره في كتبه من عقيدة صحيحة ومنهج مستقيم.

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٥٠).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (٢/ ٤٣٤).

فالاعتذار للشيخ عبد القادر الجيلاني أو للجنيد أو لأي أحد من الزهاد المحسوبين من أهل التصوف ليس فيه مدح للصوفية.

ثالثًا: الشبه في بعض النقول والتقاسيم:

يزعم بعض الباحثين أن شيخ الإسلام ابن تيمية قسم التصوف إلى سني وبدعي أو محمود ومذموم، وهذا ليس بصحيح.

أولاً: أنه ذكر تنازع الناس في الصوفية، فقال -رحمه الله-: "فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام.

وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة اللّه"[1].

فهنا شيخ الإسلام لم يمدح التصوف، لأن الكلام عن الأشخاص دون البدع المضافة إليهم والأشخاص قد يجتمع فيهم خير وشر وسنة وبدعة وحق وضلال؛ وإنما أنصفهم، ففيهم أهل تعبد وزهد واجتهاد والمجتهد إما مخطي وإما مصيب، ولا يحمل كلامه على أن هناك تصوف محمود وتصوف مذموم، بل يفهم أن من المتصوفة من كان على المعتقد الصحيح وفي التعبد مجتهداً. وأشار إلى من اندس في التصوف من أهل الإلحاد والزندقة.

ثم قال: فهذا أصل التصوف. ثم أنه بعد ذلك تشعب وتنوع، وصارت الصوفية: ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق وصوفية الأرزاق وصوفية الرسم. فأما صوفية الحقائق: فهم الذين وصفناهم.

---

(١) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (١/ ٥)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ١٧).

وأما صوفية الأرزاق: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف، كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك؛ ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط:

أحدها: العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

والثاني: التأدب بآداب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

والثالث: أن لا يكون أحدهم متمسكًا بفضول الدنيا، فأما من كان جماعـًا للمال، أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك.

وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية، ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع مَّا من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم"[1].

وهذا تقسيم لمن انتسب إلى الصوفية، والصنف الثاني أرزاق وهم أهل التكايا وكان وجودهم إلى زمان متأخر، والثالث هو نراه اليوم صوفية رسم ومظهر ودروشة.

وقوله بالتصوف المحدث ليس تقسيمـًا للتصوف، وإنما كلامه مقيد بالتعبد، أي أن هناك تعبد صحيح وتعبد محدث وهو التصوف، وفيه دلالة على أن التصوف كله محدث.

فقال –رحمه الله–: "فصل الرأي المحدث في الأصول وهو الكلام المحدث وفي

---

(١) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (١/ ٦)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ١٩).

الفروع وهو الرأي المحدث في الفقه والتعبد المحدث كالتصوف المحدث والسياسة المحدثة، يظن طوائف من الناس أن الدين محتاج إلى ذلك لا سيما كل طائفة في طريقها وليس الأمر كذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[1] ، إلى غير ذلك من النصوص التي دلت على أن الرسول عرف الأمة جميع ما يحتاجون إليه من دينهم"[2].

رابعـًا: حسن الظن ببعض زهاد الصوفية، مع وجود مخالفات لهم في المنهج.

وهذه مسألة عامة مهمة تشمل كل الأئمة من أهل السنة، إذ ليس كل من أثنوا عليه أو أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– من المنتسبين للتصوف فهو على الحق، لأن الخطأ في الحكم على الرجال وارد، لاحتمال عدم وصول بعض كتبهم وأقوالهم إلى من مدحهم، أو اعتقد أنها مكذوبة عليهم، ومن ثم يكون الاعتذار لهم.

فقد أثنى شيخ الإسلام على عدد من أعلام الصوفية ورد ما عند بعضهم ونقد ما كتبه أبو القاسم القشيري على وجه الخصوص، فقال –رحمه الله–: "فإن في الصحيح الصريح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ويوسف بن أسباط[3] وحذيفة المرعشى[4] ومعروف الكرخي إلى الجنيد بن محمد

---

(١) سورة المائدة : الآية رقم ٣ .

(٢) ابن تيمية، الاستقامة، (١/ ٤).

(٣) يوسف بن أسباط أبو يعقوب الزاهد، سكن أنطاكية وأصله من العراق، من سادات المشايخ، له واعظ وحكم. كان العلم والخوف شعاره والتخلي من فضول الدنيا دثاره، من خيار أهل زمانه، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي، توفي سنة١٩٥هـ. ابن حبان، الثقات، (٧/ ٦٣٨)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (٨/ ٢٣٧)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٩/ ١٦٩).

(٤) حذيفة بن قتادة المرعشى من العباد يروي عن أبى إسحاق الفزاري، وصحب الثوري وروى عنه، ممن لا يأكل إلا الحلال المحض سكن أنطاكية روى عنه يوسف بن أسباط، توفي سنة ٢٠٧هـ. ابن حبان، الثقات، (٨/ ٢١٥)، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (٨/ ٢٦٧)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٩/ ٢٨٣).

وسهل بن عبد الله التستري وأمثال هؤلاء ما يبين حقيقة مقالات المشايخ، وقد جمع كلام المشايخ إما بلفظه أو بما فهمه هو غير واحد فصنف أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي كتاب: "التعرف لمذهب التصوف"، وهو أجود مما ذكره أبو القاسم وأصوب وأقرب إلى مذهب سلف الأمة وأممتها وأكابر مشايخها، وكذلك معمر ابن زياد الأصفهاني شيخ الصوفية وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي جامع كلام الصوفية، هما في ذلك أعلى درجة وأبعد عن البدعة والهوى من أبى القاسم، وأبو عبد الرحمن وإن كان أدنى الرجلين فقد كان ينكر مذهب الكلابية ويبدعهم، وهو المذهب الذي ينصره أبو القاسم، وله في ذم الكلام مصنف يخالف ما ينصره أبو القاسم، وأبو عبد الرحمن أجل من أخذ عنه أبو القاسم كلام المشايخ، وعليه يعتمد في أكثر ما يحكيه فإن له مصنفات متعددة"[1].

والكلام هنا سيق في معرض مَن جمع كلام التصوف وألَّف فيه، فأثنى على جملة من أعلام الصوفية عليهم ملاحظات في التعبد والسلوك، لكن معتقدهم صحيح، كمعروف الكرخي والجنيد بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم.

وفيه -أيضًا- رد على الصوفية من وجوه:

- أنهم لم يفهموا كلام مشايخ التصوف.
- أن الطريق الذي سلكه أبو القاسم القشيري ومن تبعه من المتصوفة في الاعتقاد باطل وهو مذهب الكلابية الذي كان عليه أبو الحسن الأشعري[2] ثم تركه وهو ما عليه

(١) ابن تيمية، الاستقامة، (١/ ٨٢).

(٢) أبو الحسن الأشعري على بن إسماعيل الأشعري العَلاَّمَةُ، إِمَامُ المُتَكَلِّمِين ينتسب إلى أبي موسى الأشعري، وهو أحد علماء القرن الثالث، تنتسب إليه الأشعرية، وله ذكَاءٌ مُفْرِط، وَتبحُّر فِي العِلْمِ، وَلَهُ أَشيَاء حسنَة، وَتصَانيف جَمَّة تقضِي لَهُ بسَعَةِ العِلْم. برع في معرفة الاعتزال ثم كرهه وتبرأ منه وأخذ يرد على المعتزلة؛ وصار على مذهب ابن كلاب ثم ذكر عن نفسه رجوعه إلى مذهب السلف وأنه على منهج الإمام أحمد بن حنبل وذكر

الصوفية اليوم.

- أن كتب الصوفية فيها بدع وهوى، وهذا ما أشار إليه في كلامه عن أبي عبد الرحمن السلمي وأبي القاسم القشيري.

كلام الذهبي في الصوفية:

والإمام الذهبي –رحمه الله– من أكثر العلماء الذين نقلوا الثناء على المتصوفة وذلك بحكم اشتغاله بترجمة الرجال، وقليلاً ما يتعرض لنقول المدح وتعاريف الصوفية بالنقد كما تقدم، وفي بعض الأحيان ينقد التصوف نقداً واضحاً صريحاً فدلَّ على أن مدحه أو إقراره بما ورد من مدح ليس على إطلاقه.

ومما يذكر في مدحه للتصوف قوله: "والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل"[1].

وهذه العبارة التي يحتج بها المتصوفة على مدح الإمام الذهبي لمذهبهم احتجاج باطل:

لأن مراده بالتصوف التعبد والزهد الموافق للسنة، كما أنه أوردها بعد نقد صريح ومطول للتصوف حيث قال قبلها بأسطر معلقاً على نقول من كلام الصوفية: " دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الاحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين. فإن طالبتهم بدعاويهم

ذلك في كتابه مقالات الإسلاميين وهو واضح في كتابه الإبانة عن أصول الديانة ومن كتبه: (الرَّدّ عَلَى المجسِّمَة)، وكتَاب(إِيضَاح البرهَان)، وتوفي سنة ٣٣٠هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/ ٢٨٤)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٨٥).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥/ ٤١٠).

مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الايمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون"[1].

ثم قال بعد ذلك : "فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، **والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل**"[2].

فجمع بين التصوف والتعبد الذي هو التأله؛ فمراده بالتصوف الزهد في الدنيا والتقشف والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

والذي يظهر أن كلام الإمام الذهبي عن التصوف يدور على أمرين:

الأول: إطلاق التصوف بمعنى الزهد والذي يظهر في السلوك من الأخلاق والتعامل والسمت، وغيره من الخصال الحميدة:

كقوله: "وله كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك"[3].

وقوله: "وله كلام عذب في التصوف والعرفان" و" من أهل التصوّف والهدي الصالح"[4].

---

(١) المرجع السابق، (١٥/ ٤١٠).

(٢) المرجع السابق، (١٥/ ٤١٠).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢١/ ١٨٧).

(٤) المرجع السابق، (٢٣/ ٥٩٠)، و(٤٠/ ٢١٢).

وقوله: "وله كلام حسن في التّصوّف والحقيقة"[1].

وقوله: "وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ"، و"كان إماماً في السنة رأساً في التصوف العبر"[2].

وهذه النقول تدل على أن المراد بالتصوف السلوك والزهد الموافق للسنة، وقد يُجرى معنى التصوف على وعظ الناس تزهيدهم في الحياة الدنيا والترغيب في الآخرة.

والثاني: إطلاق الصوفية على الزهاد العباد:

وهذا كثير جداً في التراجم كما يقول: "وكان شيخ الصوفية ببغداد أو مصر أو خرسان وغيرها من البلدان" يعني: مقدماً في الزهد والعبادة، ولا يلزم أن يكون معلماً وله تلاميذ يدرسهم التصوف.

ومن ذلك قوله: "العابد القدوة شيخ الصوفية بالبصرة"[3].

وأيضاً قوله: "الزاهد شيخ الصوفية في زمانه بأصبهان"[4].

ومما يؤكد معنى ذلك تفريقه بين الزهاد الذين اشتغلوا بالعلم وطلب الحديث وبين متأخري الصوفية، كما في تعليقه على كلام سهل بن عبد الله التستري –رحمه الله–: "من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث. فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة"–، بقوله قلت: "هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسنة، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة الأكلة الكسلة"[5].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٤٠/ ٢١٤)، وسير أعلام النبلاء، (١٦/ ٢٣٧)، و(١٨/ ٥١٣)،

(٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، (١/ ٣٤٧) و(٥/ ٢٥٤).

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٩/ ٢٠٩).

(٤) الذهبي، العبر في خبر من غبر، (٣/ ١٣١).

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، (٢١/ ١٨٧).

وانظر كيف وصف الإمام الذهبي -رحمه الله- صوفية عصره، فكيف لو شهد عصرنا! فقد خلف من بعدهم خلف.

ومن النقول عنه -أيضـًا- "متى رأيت الصوفي مكبـًا على الحديث فثق به، ومتى رأيته نائيـًا عن الحديث، فلا تفرح به، لاسيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوف على ترهات الصوفية، ورموز الباطنية"[١].

كلام ابن القيم في الصوفية:

أطال ابن القيم -رحمه الله- النفس في ذكر التصوف وبيان حقيقته ونقل تعاريف المتصوفة له، والثناء عليه في مدارج السالكين شرح منازل السائرين للهروي رحمه الله، -أحد أعلام الصوفية المنتسبين للسنة-، وإن كانت هناك نقول تحتاج إلى رد فإن ابن القيم -رحمه الله- يخرجها على الظن الحسن والمحمل الجيد؛ وإن كانت لا تحتمله في بعض الأحيان. كما قال -رحمه الله-: "شيخ الإسلام -يعني الهروي- حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه"[٢].

والمشكل في مدح ابن القيم للصوفية -أراه- يرجع لأمرين:

الأول: مدح التصوف من خلال بيان حقيقته وألفاظه ومصطلحاته. ولا إشكال هنا في بيانه، وإنما المشكل في الشبهة عند من يزعم أنه مدح التصوف مدحـًا مطلقـًا.

والثاني: نقل أقوال الصوفية دون نقدها. بل في بعض الأحيان يحملها على الظن، ويجتهد في تخريجها على معنى يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/ ٢١٣).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٧).

فمن الأمثلة على الأول: أنه تكلم عن حقيقة التصوف وأكد أنه إسبال الخلق على الخلق، وذكر قول الكتاني: "التصوف هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق؛ فقد زاد عليك في التصوف"، وقد قيل: إن حسن الخلق بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، وقيل: حسن الخلق: بذل الجميل وكف القبيح، وقيل: التخلي من الرذائل والتحلي بالفضائل"[1].

فالكلام هنا إن كان عن تصوف الزهاد فلا شيء فيه، وإن كان على جملة الصوفية فقد تقدم في مصطلح الأخلاق ما يمكن أن يجتمع التصوف معه لمنافرة الصوفية للدنيا والخلق معـًا.

وقال –أيضـًا–: "والتصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه فإن المرء مع من أحب"[2].

وإن كان مدح ابن القيم –رحمه الله– واضح وصريح، لكن نقده يجعلنا نحمل كلامه في المدح على طائفة معينة من الصوفية في الزمن الأول –وهم الزهاد– لوجود ما يشعر عنده من التفريق، حيث قال: "كان التصوف والفقر في مواطن القلوب فصار في ظواهر الثياب كان خرقة فصار حرفه"[3].

وقد قيل: كان الصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم[4].

وفي بعض الأحيان يرد على مصطلحاتهم، ويبيِّن ما فيها من أغلاط وفهوم مخالفة،

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٠٧).

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (١٢/ ١٢٥).

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد، (٣/ ٧٥٦).

(٤) ذكر ذلك عن أبي أحمد الشيرازي، ابن القيم، إغاثة اللهفان، (١/ ١٢٥).

كما في تعليقه: "والقوم عاملون على الكشف الذي يحصل بنور العيان لا على العلم الذي ينال بالاستدلال والبرهان، وهذا موضع غلط واشتباه؛ فإن الدليل في هذا المقام شرط، وكذلك العلم وهو باب لا بد من دخوله إلى المطلوب، ولا يوصل إلى المطلوب إلا من بابه، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[1] ، ثم إنه يخاف على من لا يقف مع الدليل ما هو أعظم الأمور وأشدها خطراً وهو الانقطاع عن الطلب بالكلية، والوصول إلى مجرد الخيال والمحال؛ فمن خرج عن الدليل: ضل سواء السبيل"[2].

ومن الثاني: قول الجنيد: "إذا أراد الله بالمريد خيراً، أوقعه على الصوفية، ومنعه صحبة القراء".

فالقراء في لسانهم: هم أهل التنسك والتعبد سواء كانوا يقرءون القرآن أم لا فالقارئ عندهم: هو الكثير التعبد والتنسك الذي قد قصر همته على ظاهر العبادة دون أرواح المعارف، ودون حقائق الإيمان وروح المحبة وأعمال القلوب؛ فهمتهم كلها إلى العبادة ولا خبر عندهم مما عند أهل التصوف وأرباب القلوب وأهل المعارف"[3].

فلم ينتقد كلام الجنيد –رحمه الله– وحاول أن يجد له مخرجاً، وتكلف في توجيه عبارته، وأقول ذلك لأن منع الصوفية للمريد بالتعلم مشهور، وهم يريدون منه التعبد أولاً، وقد تقدم الكلام عن هذه المسألة وأشرنا إلى تزهيد الصوفية في العلم.

وأيضاً وذكر كلاماً عن تقسيم الصوفية فقال: "وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام: أصحاب السوابق، وأصحاب العواقب، وأصحاب الوقت، وأصحاب الحق،

---

(١) سورة البقرة : الآية رقم ١٨٩ .

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٤٧).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٦٨).

قال: فأما أصحاب السوابق فقلوبهم أبداً فيما سبق لهم من الله لعلمهم أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد"[1].

ثم شرح هذه الأقسام الأربعة، وهي تقسيمات لا تقوم على أدلة واضحة. وبعض المصطلحات ينقلها أو يشرحها دون رد مثل باب التمكن: "وأكثر ما يطلق في اصطلاح القوم على من انتقل إلى مقام البقاء بعد الفناء، وهو الوصول عندهم، وحقيقته ظفر العبد بنفسه، وهو أن تتوارى عنه أحكام البشرية بطلوع شمس الحقيقة واستيلاء سلطانها؛ فإذا دامت له هذه الحال أو غلبت عليه فهو صاحب تمكين"[2].

وأيضـًا قول الهروي –رحمه الله-: "الزهد في الزهد وهو بثلاثة أشياء: استحقار ما زهدت فيه واستواء الحالات فيه عندك والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادي الحقائق"[3].

وهنا –أيضـًا–لم ينتقد ابن القيم كلام الهروي وحاول أن يجد له مخرجـًا بقوله: "وأما الذهاب عن شهود الاكتساب فمعناه: أن من استصغر الدنيا بقلبه، واستوت الحالات في أخذها وتركها عنده؛ لم ير أنه اكتسب بتركها عند الله درجة البتة، لأنها أصغر في عينه من أن يرى أنه اكتسب بتركها الدرجات. وفيه معنى آخر: وهو أن يشاهد تفرد الله عز وجل بالعطاء والمنع؛ فلا يرى أنه ترك شيئـًا ولا أخذ شيئـًا؛ بل الله وحده هو المعطي المانع، فما أخذه فهو مجري لعطاء الله إياه كمجرى الماء في النهر، وما تركه لله فالله سبحانه وتعالى هو الذي منعه منه، فيذهب بمشاهدة الفعال وحده عن شهود كسبه وتركه؛ فإذا نظر إلى الأشياء بعين الجمع وسلك في وادي الحقيقة غاب عن شهود اكتسابه وهو معنى قوله: ناظرا إلى وادي الحقائق وهذا أليق المعنين بكلامه فهذا زهد

---

(١) ابن القيم، المرجع السابق، (٣/ ١٣٠).

(٢) ابن القيم المرجع السابق، (٣/ ٢١٦).

(٣) الهروي، منازل السائرين، (١/ ٣١).

الخاصة قال الشاعر:

إذا زهدتني في الهوى خشية الردى ... جلت لي عن وجه يزهد في الزهد[1].

وما ذُكِر من شبهات في كلام ابن القيم -رحمه الله- ليس فيها مدح للتصوف الذي فيه عقائد باطلة، وإن كان هناك نقد غير كافٍ للصوفية في بعض كتبه وأقواله، مع حسن ظن في حمل معنى أقوال الصوفية وحملها وتوجيهها فيما لا تحتمله لتوافق عقيدة السلف.

خلاصة القول في توجيه مدح العلماء للتصوف:

- أن إطلاق الصوفي على كثير من المشايخ المتقدمين، إذا كان في سياق المدح يراد به الزاهد والعابد أو المنتسب والمنسوب والمعدود في جملة الزهاد.
- أن المدح مقصور على فئة معينة في زمان معين، لصلاحهم واتباعهم للسنة.
- أن مدح الصوفية لا يراد به من يتبع لطريقة معينة؛ وجماعة انتهجت نهجاً غير منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.
- أن التصوف في نشأته الأولى كان يطلق على العباد والزهاد، ولم تكن لهم جماعة، ولم تظهر الطرق التي تلبست بالبدع والشرك؛ وإنما كانوا مثل ما يقال متدين ومطوع وملتزم.
- أن الزهاد الأوائل كانوا من أهل الفقه والحديث وعلى عقيدة السلف الصالح.
- أن مدح ما كان عند الصوفية من أخلاق وتعبد هو من وسطية أهل السنة والجماعة وإنصافهم مع المخالفين لهم من الفرق وأربابها، حيث يثبتون لهم فضلهم ويمدحونهم فيما صح من معتقداتهم ودفاعهم عن الإسلام، ويذمون ما عندهم من مخالفات وباطل، وفي بعض الأحيان يلتمسون العذر لهم.
- أن من القواعد المقررة مع المخالفين أن يكون المدح من وجه والذم من وجه آخر.

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ١٩).

قال ابن تيمية عن الأشاعرة: "ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف"[1].

وقال في مدح أكابر الأشاعرة: "ومن العلماء مثل أبي المعالي الجويني، فصاروا بما يقيمونه من السنة ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك، وكذلك المتأخرون من أصحاب مالك الذين وافقهوه كأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي ونحوهما، لا يعظمون إلا بموافقة السنة والحديث .."[2].

وقال -أيضـًا-: وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكلابية والكرامية والأشعرية إنما قبلوا واتبعوا واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان من إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة، والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب وبيان تناقض حججهم، وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة والرافضة والقدرية من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة فحسناتهم نوعان إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث بيان تناقض حججهم"[3].

- أنه لا يمدح التصوف على أنه تصوف وإنما يمدح ما وافق الكتاب السنة ولا يرد الموافق من التصوف لمجرد الاسم، وإن كان اسم الصوفية والانتماء لهم باطل.
- أن كثيراً من النقول في مدح التصوف حكايات موضوعة أو مكذوبة ولا سند لها.
- أن هناك بعض النقول في مدح التصوف مقصوصة، دون النظر إلى ما قبل النص أو بعده في تتمة الكلام عن الصوفية.

---

(١) ابن تيمية، درء التعارض، (١/ ٢٨٣).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، (٤/ ١٨)، وانظر: المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (٣/ ١٩٦).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٤/ ١٢).

المطلب الثالث
نسبة الصوفية لأهل السنة والجماعة

هذا العنوان يتضمن مسائل بأسماء مختلفة، تدور حول معنى واحد عند من يسعى لمدح التصوف، ولهذا يقال تصوف إسلامي وتصوف سني وتصوف محمود أو ممدوح.

وإدراج الصوفية في أهل السنة، من المسائل التي تحتاج إلى بيان، خاصة من صح اعتقاده ووقع عنده خطأ في الاتباع كالزهاد والعباد قديماً؛ أما حاضر الصوفية اليوم، ففي اعتقاداتهم انحرافات ودخن، وفي ا اتباعهم بدع ووهن.

ثم إن معنى أهل السنة والجماعة بكل معانيها واشتقاقاتها لا تجتمع مع شيء من التصوف.

والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة[1].

وهذا التعريف أخذه أهل العلم من حديث الافتراق؛ كما في السنن عن عبد الله بن عمرٍو -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسَلَّم: (..**وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**)[2]. وفي رواية هم الجماعة[3].

---

(١) د/ سعيد بن علي وهف، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، (١/ ٥).

(٢) أخرجه: الترمذي، السنن، كتاب الإيمان ، برقم ٢٦٤١ ، (٥/ ٢٦) دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة، ١٩٩٨م. تحقيق بشار معروف. وأخرجه: أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب شرح السنة، برقم ٤٥٩٦، (٢/ ٦٠٨). من حديث أبي هريرة رضي الله والحديث صححه الألباني.

(٣) في رواية أخرجها: ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ٣٩٩٢، (٢/ ١٣٢٢).

وهم الجماعة، ووصفهم: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، هذه الفرقة الناجية[1] ، ولأهل العلم كلام مطول عن الجماعة[2].

وأما اسم "الصوفية" فهذا من جملة المحدثات، ثم صارت فرقة وطرقًا، وليس هم الجماعة التي هي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم؛ بل هم طوائف كالشيعة والخوارج والمعتزلة، واليوم العالم الإسلامي ينتشر فيه الصوفية بطرق يصعب حصرها وعدها، لهم اعتقادات ورايات وأوراد وأذكار وطقوس؛ تنافي الشريعة والتوحيد الذي أنزله الله في كتابه.

فالصوفية تتعارض مع الجماعة إذ هم جماعات وطوائف.

أما السنة: فالمراد بها: الهدي الذي كان عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، علمـًا واعتقاداً وقولاً وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويُذم من خالفها[3].

فكيف يقال: بأن الطرق الصوفية التي تدعوا إلى البدع والشرك والخرافات من أهل السنة والجماعة؟

ولا يدخل الصوفية في أهل السنة إلا في المفهوم العام عند الرافضة. وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– إلى ذلك بقوله: "فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة؛ فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة؛ وهذا الرافضي –يعنى المصنف[4]– جعل أهل السنة

---

(١) الراجحي، شرح المختار في أصول السنة لابن البنا، (١/ ٥٨).

(٢) انظر: الشاطبي، الاعتصام، (٢/ ٢٥٨)

(٣) أ.د. ناصر العقل، مباحث في العقيدة، (١/ ٨).

(٤) يريد ابن المطهر الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر العراقي الشيعي، له كتاب (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة) ويقال: (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) خبط فيه في المعقول والمنقول ولم يدر

بالاصطلاح الأول؛ وهو اصطلاح العامة كل من ليس برافضي"[1].

فهل الصوفية اليوم يقيمون التوحيد الخالص لله لا يصرفون شيئاً من العبادات لغيره؟

وهل الصوفية يثبتون الصفات لله تعالى؟

وهل يثبتون رؤية الله تعالى في الآخرة؟

وهل يثبتون علو الله تعالى على عرشه؟

وما مصادر التلقي عندهم؟

وما موقفهم من البدع؟

فهل يكتفى بإثباتهم خلافة الخلفاء الثلاثة -رضي الله عنهم- وبعض أصول أهل السنة والجماعة وهم مخالفون في كثير منها؟

ولا شك أن الصوفية المعاصرين بعيدون عن منهج أهل السنة والجماعة وذلك لكثرة مخالفاتهم وانحرافاتهم في العقيدة والعبادة. وإنما المشكل في عوام الصوفية الذين ينتمون للتصوف، فأغلب عوام المسلمين الذين لم يتلبسوا بالبدع، ولم يكن عندهم اعتقادات باطلة، بقوا على الفطرة والسلامة، فالأصل فيهم أنهم أهل السنة والجماعة حتى ولو لم يعرفوا ذلك، ولو لم يعلنوا ذلك، أو حتى ولو انتموا لبعض الفرق مجرد انتماء، وإن كان الانتماء بدعة، لكنها زلة لا تخرج الإنسان من السنة[2].

وأيضاً في الأوائل من المتصوفة وسيتضح ذلك فيما يأتي من مباحث عن مدح الزهاد.

كيف يتوجه إذ خرج عن الاستقامة وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، توفي سنة ٧٢٦هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، (١٤/ ١٢٥). والصفدي، الوافي بالوفيات، (٤/ ٣٠١).

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: أ.د. ناصر العقل، مجمل أصول أهل السنة، (ص٢٢).

تقسيم التصوف إلى سني وبدعي:

هذا التقسيم يدل على أن هناك تصوف منسوب إلى السنة، وأنها تدل عليه وتؤيده؛ وهذا ليس بصحيح، لأن اسم التصوف حادث، نعم يوجد عند المتصوفة أموراً عملوا بها وهي من السنة، لكن ليس التصوف من السنة.

فالانتساب إلى التصوف في أصله من البدع، لأن هذا من التفرق التحزب والتشيع المنهي عنه في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[1] .

وعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–، قال: (**خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللهِ)، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبُلٌ – قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ – عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)، ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا)**)[2].

ولأن جماعة المسلمين واحدة فمن اختار له اسم غير اسم الإسلام وإماماً غير رسول الله صلى عليه وسلم بحيث تنسب الطريقة والطائفة إليه فقد خرج عن الأصل، وأصبح ينتمي لجماعة أو حزب يوالي ويعادي عليه وعلى مسماه[3].

كما أن المبالغة في التزهد والتعبد وهو ما كان عند الأوائل منهم بدعة، فضلاً عن التصوف اليوم فكله بدع يركب بعضها بعضاً.

---

(١) سورة الأنعام: الآية رقم ١٥٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد: المسند، حديث رقم ٤١٤٢، (٧/ ٢٠٧). قال محققو المسند إسناده حسن.

(٣) انظر: كلام العلامة بكر أبو زيد، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، (ص٢٩) وما بعدها.

ولا أعرف أحداً من أهل السنة ذكر تقسيم التصوف إلى سني وبدعي[1]، وإنما ورد ثناء مقيد على بعض الصوفية من أهل الزهد والتقى المتمسكين بالكتاب والسنة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لم يمدح التصوف مطلقاً ولم يقسمه إلى سني وبدعي، وإنما كان كلامه عن الزهاد العباد الأوائل المنسوبون إلى التصوف، بعد أن ذكر كلام الناس في التصوف والصوفية، فقال -رحمه الله-: "تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف. وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة اللّه، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة اللّه، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه"[2].

فكلامه -رحمه الله- عن الزهاد الذين تسموا باسم الصوفية وكان في اعتقاده على المنهج الصحيح، فليس فيه تقسيم للتصوف، وإنما هو من باب الإنصاف في الحكم على قوم اجتهدوا في عبادة الله تعالى، وهذا الاجتهاد إن كان في القيام بأمر به الشارع فلا بأس به، وإن كان في إحداث تعبد لم يرد في الشرع -وهو حال الصوفية اليوم- فهو

---

(١) ذكر أبو الوفاء التفتازاني، أن التصوف أصبح تياران: سني: يمثله رجال التصوف المذكورون في رسالة القشيري وهو صوفية القرنين الثالث والرابع الهجري.. والآخر: فلسفي يمثله الذين مزجوا التصوف بالفلسفة". مدخل إلى التصوف الإسلامي، (ص١٩). وتقسيمه واحتجاجه غير صحيح.

(٢) ابن تيمية، رسالة في الصوفية والفقراء، (١/ ٥)، ومجموع الفتاوى، (١١/ ١٨). وتقدم ذكر كلامه في (ص٦٩).

مذموم ويحمل عليه قول من ذم الأوائل من المتصوفة.

ونظير كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ما ذكر الطوسي –رحمه الله– في كتابه اللمع: حين سئل عن التصوف وبين أن من الناس من يغلو فيه ويرفعه فوق مرتبته ومنهم من يخرجه عن حد المعقول والتحصيل، ومنهم من يراه ضرباً من اللهو واللعب وقلة المبالاة والجهل، ومنهم من ينسب ذلك للتقوى والتقشف ولبس الصوف والتكلب في تنوق الكلام واللباس وغير ذلك. ومنهم من يسرف في الطعن وقبح المقال فيهم حتى ينسبهم إلى الضلال والزندقة[١].

وقال –أيضاً : "إن طبقات الصوفية أيضاً اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم إذا كان ذلك مجانباً للبدع واتباع الهوى"[٢].

فمدح طائفة وافقت أهل السنة والحديث لا يعني تقسيم التصوف محمود ومذموم أو الإقرار به –أعني عند شيخ الإسلام– وإنما المدح يتوجه لأشخاص كانوا على منهج السلف في العلم والاعتقاد، لكنهم سلكوا نهج التصوف في الزهد والتعبد، كما تقدم الكلام عن شبهة تقسيمه المتصوفة إلى ثلاثة أقسام.

إطلاق لفظ التصوف الإسلامي:

وهو في معنى ما تقدم من محاولة مدح التصوف والدعوة إليه، حيث يوجد بعض الجامعات والكليات الشرعية في كثير من البلدان الإسلامية إلى تدريس مادة باسم

---

(١) الطوسي، اللمع، (ص٢١).

(٢) المرجع السابق، (ص٢٨).

التصوف الإسلامي، وهذا خطر على الطلاب والمبتدئين في العلم، ومدح للتصوف وإن كان فيه ما يُفهِم أن هناك تصوفاً صحيحاً في الإسلام وهو محمود وممدوح، وأن هناك تصوف فلسفي أو بدعي مذموم. والأصل إدراج التصوف في مادة الفرق الإسلامية كالخوارج والشيعة ليعلم أن كل ذلك تفرق مذموم في الإسلام.

كما توجد –أيضاً– كتابات مؤلفات لبعض الباحثين تحمل اسم التصوف الإسلامي، يختلف الهدف والغاية منها، فبعضها يجعل التصوف من مصدر إسلامي، وبعضها يجعل مصدره أجنبي(١).

وقد ذكرنا في التمهيد أن السنة النبوية لم يرد فيها إرشاد إلى التصوف، ولا يوجد له دليل البتة من الكتاب والسنة، بل الأحاديث فيها تحذير من سلوك المتصوفة ومن الغلو في الزهد والعبادة.

وهذه التسمية قد يطلقها المستشرقون في كلامهم عن التصوف(٢) في الإسلام، فتكون التسمية من الألفاظ الدخيلة، كما يقال في لفظ الفكر الإسلامي، قال العلامة ابن عثيمين –رحمه الله: "أن كلمة الفكر الإسلامي كلمة لا تجوز لأنها تعني أن الإسلام قد يكون عبارة عن أفكار قد تصح أو لا تصح وهكذا"(٣).

ونفس المعنى يقال في التصوف، وكما يصح قول مفكر إسلامي وصوفي مسلم، لكننا لا ننسب التصوف والفكر القابلان للأخذ والرد للإسلام.

---

(١) التصوف الإسلامي الخالص، للمنوفي. والتصوف الإسلامي والإمام الشعراني. طه عبد الباقي سرور، والتصوف في الإسلام، لعرجون محمد الصادق. وتاريخ التصوف الإسلامي، د. قاسم غني. وتاريخ التصوف الإسلامي، د. عبد الرحمن بدوي. ومدخل إلى التصوف الإسلامي، د. التفتازاني.

(٢) انظر: المستشرق لنيكلسون، التصوف الإسلامي وتاريخه. وماكدونالد، التصوف الإسلامي والنصراني.

(٣) ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، (٣/ ١٢١).

والمستشرقون يؤكدون على أن التصوف من مصدر غير إسلامي، وذكروا أقولاً في ذلك منها أنه فارسي أو يوناني أوهندي وغيرها[1].

أما إن كان تمييزاً له عن التصوف النصراني أو التصوف اليهودي أو البوذي فلا إشكال فيه -فيما أرى- لأنه يدل على وجود وجوه من التشابه، بحيث يكون بمعنى الذي حدث في الإسلام، وفيه دلالة على أنه مبتدع.

وقد يطلق التصوف الإسلامي مقابل التصوف الفلسفي وهذا التقسيم خطأ لأن التصوف ليس أصل في الإسلام -ولا أقصد الزهد والعبادة- وإنما التصوف كفرقة وطائفة، فالتصوف كله فلسفي لأن جذوره وطقوسه من الديانات الأخرى.

كما أن التقسيم الصحيح أن يكون بنسبة الصوفية كأشخاص وعلماء فمنهم فلاسفة وملاحدة ومنهم زهاد عباد فهذا تقسيم لا بأس به.

---

(١) انظر: التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، (ص٢٦) وما بعدها.

المبحث الثالث
المشكل في مدح زهَّاد الصوفية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول
زعم الصوفية أن كل الزهاد متصوفة

جرت عادة الفرق والطوائف على حشد الأكابر في سلكهم وضمهم إلى منظومتهم، حتى يعلو شأنهم، وهو نظير ما يزعمه أصحاب الطرق الصوفية من الانتساب للعترة الشريفة ليكون لهم حظ من تعظيم العامة، ويعملوا على خدمتهم واتباعهم.

وقد اشتهر كثير من المسلمين بالزهد والعبادة في القرون المفضلة إبان نشأة التصوف، كما حكى ذلك أهل المقالات والفرق، فمنهم من أعلن تصوفه، ومنهم من لم يقل بالتصوف، ومنهم من كان قبل ظهور مصطلح التصوف، ومع ذلك عدَّهم كُتَّاب الصوفية من أعلامهم.

وهنا تنبيه مهم، أن الكلام عن الصوفية يشمل أربع مجموعات:

الأولى: الذين نسبوا إلى التصوف، ولم يثبت عنهم، وإنما هو زعم لا دليل عليه، كالصحابة رضي الله عنهم وكثير من الأئمة والتابعين، وممن لم يسمع بالصوفية، ولم يظهر التصوف بعد.

الثانية: الزهاد العباد الذين أشهروا تصوفهم، أو لهم أقوال معروفة في ذكر التصوف، وليس عندهم مخالفات في العقيدة، وهم جماعة منهم كمعروف الكرخي والسري السقطي والجنيد بن محمد والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم، وهؤلاء وافقوا أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، لكن عندهم بعض المخالفات في السلوك والتعبد، ومنهم من عنده غلو في الزهد.

فإطلاق المدح فيهم مشكل، لما يوهم من مدح التصوف وإقرار ما عندهم من مخالفات.

الثالثة: الصوفية الذين عندهم مخالفات في العقيدة، ويدخل في هذه الطبقة كتاب الصوفية ومؤلفيهم قديماً؛ كالسلمي والقشيري وغيرهما، كما يدخل التحول الطرقي للتصوف، وكتاب الصوفية ومؤلفيهم حديثاً، والصوفية اليوم جلهم في هذه الطبقة، لأن أغلبهم على اعتقادات باطلة وبدع ظاهرة. ومدحهم بإطلاق -أيضاً- مشكل.

الرابعة: الملاحدة والزنادقة من الصوفية، كابن عربي والحلاج، وممن سار على نهجهما من أرباب الطرق، الذين يتعاملون مع الجن ويتعاطون السحر والشعوذة، وعباد القبور.

وهذه الطائفة ذمها أهل العلم، وتبقى خطورة إطلاق المدح على زهاد الصوفية، شاملاً للعقائد الباطلة الفلسفية التي يقررها الصوفية، إذ هم من روادها.

ومعرفة الزهاد وتمييز أهل العقيدة الصحيحة وأهل التصوف من المسائل المهمة، وأيضاً الرجوع إلى المصنفات في أخبار الزهاد، ومعرفة أقوالهم وأحوالهم مشوق للتعبد والدار الآخرة، وأيضاً التمييز بين الزهاد ومعرفة المنتسبين للتصوف منهم مهم جداً، ليُعرف من مدحه أهل العلم ومنهجه واتباعه للكتاب والسنة.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى مسألة مهمة، بقوله: "فإن المصنفات في أخبار الزهاد ثلاثة أقسام:

قسم: جرد النقل لأخبار القرون المفضلة، من الصحابة والتابعين ونحوهم -رضوان الله عليهم-؛ كما ذكر ذلك الإمام أحمد -رحمه الله- في كتابه المشهور في الزهد فإنه صنفه على الأسماء وذكر فيه زهد الأنبياء والصحابة والتابعين.

وقسم: ذكروا أخبار الزهاد المتأخرين؛ من حين حدث اسم التصوف، كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه: "طبقات الصوفية"، وكما فعل أبو القاسم القشيري في رسالته، وابن خميس[1] في "مناقب الأبرار" ونحو هؤلاء.

وقسم: ذكروا المتقدمين والمتأخرين، كما فعل الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وأبو الفرج ابن الجوزي، وغيرهما"[2].

فالجمع بين هذه الأقسام واعتبار كل زاهد صوفي من المسائل المشكلة، والعكس في استعمال أهل التراجم يرد كثيراً عند قولهم فلان الصوفي، أي: الزاهد أو الناسك، ولا يلزم أن يكون كل صوفي زاهد.

وأبرز النقاط المهمة في هذه مسألة الزهاد:

أولاً: أن الزهَّاد وصف عام يشمل الأنبياء عليهم السلام والصحابة –رضي الله عنهم– والتابعين لهم إلى يوم الدين، ولذلك يرد مدحهم على ألسنة أهل العلم، كما أن الزهد من الألفاظ الشرعية، وقد اتفقت شرائع الأنبياء عليهم السلام على تزكية المجتمعات

---

(١) ابن خميس الفقيه الإمام، أبو عبد الله، الحسين بن نصر بن محمد بن حسين بن محمد بن خميس الجهني الكعبي الموصلي الشافعي، قدم بغداد وهو حدث، فتفقه على الغزالي وله مصنفات: "منهج التوحيد"، "أخبار المنامات"، "مناقب الأبرار"، توفي سنة ٥٥٢هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ١٣٩)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٢٩١).

(٢) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، (١/ ٢٦٢). وقال بعد ذلك: " وهؤلاء المشايخ الموجودون في هذه الكتب ليس فيهم من هو معروف باعتقاد مذهب الباطنية المخالف للظاهر بل لهم من الكلام في نقيض ذلك بل في رد البدع الصغار وحفظ الشريعة باطنا وظاهرا". وهم إن كانوا كذلك فإن الحلية جمع من الصوفية من له مخالفات وله أقوال كفرية مشهورة كالبسطامي وغيره. وجاء بعدهم الشعراني في الطبقات الكبرى فخلط وأدخل المجاهيل وأصحاب الأباطيل.

والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والتقليل من شأن الحياة الدنيا وقدرها ومتاعها، والاستعداد للدار الآخرة، والسير إلى الله تعالى.

فيُظَنُّ أن القصد من هذا المدح مخصوص بزهاد الصوفية، أو أن كل من اتصف بالزهد فهو صوفي، وهذا الخلط يوجد عند عامة الصوفية علمائهم وعوامهم، وانظر في خطبة الكلاباذي –رحمه الله–، في قوله: "المتعرف إلى أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته، المقَرِّب أسرارهم منه، والعاطف بقلوبهم عليه، المقبل عليهم بلطفه، الجاذب لهم إليه بعطفه، طهَّر عن أدناس النفوس أسرارهم، وأجل عن موافقة الرسوم أقدارهم، اصطفى من شاء منهم لرسالته"[١].

وهؤلاء الذين ذكرهم الكلاباذي من الزهاد والأولياء هم الأنبياء عليهم السلام، لا ينصرف اللفظ لغيرهم، حيث ذكر خصوصيتهم بالاصطفاء بالرسالة، وهم في أعلى مقامات الولاية، فالأنبياء عليهم السلام في أعلى رتب الولاية لا يشاركهم غيرهم، وهذا المعتقد الصحيح، خلاف ما عند الرافضة والصوفية في تفضيل الأئمة والأولياء على الأنبياء عليهم السلام وبلوغ رتب من العلم، لم يصلوا لها فضلاً عن مساواتهم في رتبة واحدة.

فبعض المدلسين من الصوفية من يطلق النعت الذي ذكره الكلاباذي على الأنبياء عليهم السلام، على الأولياء والصالحين.

ثانيـًا: أن الصوفية في عبارة الزهد الجامعة؛ جمعوا كل أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين آل البيت، –رضي الله عنهم ورحمهم– وقالوا إنهم متصوفة! ورجال التصوف[٢].

---

(١) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (١/ ١٤).

(٢) قال الكلاباذي: "الباب الثاني: في رجال الصوفية. "ممن نطق بعلومهم وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم

وهذا خلط لأن المراد بزهاد الصوفية الذين صرحوا بتصوفهم وكانوا بعد ظهور التصوف.

وهذا كما ذكرنا في بداية المطلب لرفع اسم التصوف وإعلاء شأنه، فيقولون إن أبا بكر وعلياً وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، كانوا من زهاد الصوفية وكذلك خصوا أهل الصفة وانتسبوا إليهم.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب: "الحلية"؛ وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم؛ فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحاً القاضي[1] والحسن البصري وسفيان الثوري[2] وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمي في:

ووصف أحوالهم، قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم، علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهم، بعد علي والحسن والحسين رضى الله عنهم وأويس القرني، وهرم بن حيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وأبو حازم سلمة بن دينار المديني، ومالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وعتبة الغلام، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وابنه علي بن الفضيل، وداود الطائي وسفيان بن سعيد الثوري، وغيرهم، انظر: التعرف لمذهب التصوف، (١/ ٢٧).

(١) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر الكندي كان من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة، توفي سنة ٨٧هـ. وقيل: ٧٨هـ. ابن حيان الضبي، أخبار القضاة، (٢/ ١٩٨)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٤٦٠).

(٢) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، مات سنة١٦١هـ. البخاري، التاريخ الكبير، (٤/ ٩٢)، وابن حبان، الثقات، (٦/ ٤٠١)، وابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢/ ٣٨٦).

"طبقات الصوفية" الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي وجعلهم من الصوفية، بأن أشار إلى أنهم من الزهاد"[1].

وعلى غرار ما في الحلية سار الشعراني[2] في الطبقات الكبرى؛ فبدأ بأبي بكر رضي الله، ثم ذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من التابعين، ولم يميز في طبقاته بين الزاهد والصوفي والملحد والفيلسوف فحشد فيه العاقل والمجنون والفاجر.

ثالثاً: لا بد من التمييز بين الزهاد الذين انتسبوا للتصوف وتكلموا به، وبين الزهاد من السلف والتابعين؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزهاد، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم.

وكذلك ضرورة عرض ما عند زهاد الصوفية على الكتاب والسنة والمقارنة بين زهد صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، وزهد أولئك المتصوفة؛ فإن وافق زهدُهُم زهدَهَم فهو مقبول، وإن زاد عليه فهو غلو مردود، وهذا الحاصل.

وقد خالف أبو ذر رضي الله عنه –في زهده– الصحابة رضي الله عنهم، فكان يرى ظاهر هذه الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[3] ، في أهل الأموال والأغنياء، وأنه يحرم إمساك ما فضل عن الحاجة من

---

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢٠٤).

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، الشعراني المصري، الشاذلي الصوفي، أبو المواهب، ولد في قلقشندة بمصر، له تصانيف، منها: "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية"، و "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"، يعرف بالطبقات الكبرى، جمع فيه الشرك والعقائد الباطلة والخرافة والبدع، توفي سنة ٩٧٣هـ.انظر: الزركلي، الأعلام، (٤/ ١٨٠)، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، (٦/ ٢١٨).

(٣) سورة التوبة : الآية رقم ٣٤ .

الأموال، ويجب التصدق به، لأنه كنز، فاختار هو الربذة لأنه كان يغدو إليها في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– فأذن له فيها، فكان مبغضو عثمان يشنعون عليه أنه نفى أبا ذر –رضي الله عنهما[1].

قال ابن حجر –رحمه الله–: "وكان أبو ذر –رضي الله عنه– يحمل الحديث على إطلاقه فلا يرى بادخار شيء أصلاً. قال ابن عبد البر –رحمه الله–: وردت عن أبي ذر –رضي الله عنه–آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "وقال جمهور الصحابة –رضي الله عنهم: الكنز هو المال الذي لم تؤدّ حقوقه ... وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك، مثاب على طاعته رضي الله عنه، كسائر المجتهدين من أمثاله"[3].

فكان رضي الله عنه في زهده زيادة على ما عند الصحابة رضي الله عنهم، وفيه مخالفة للنصوص، وهكذا زهد الصوفية يرد إذا خالف ما كان عليه جمهور السلف.

رابعـًا: أن الزهاد الذين امتدحهم علماء أهل السنة والجماعة، ممن انتسب إلى التصوف وذاع خبره بتصوفه، وله أقوال معروفة مشهورة في الثناء على الصوفية، لا يشترط أن يكون المدح مجمعـًا عليه.

---

(١) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (٣/ ٤٠٥). وابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (١٠/ ٢٥١). والعيني، عمدة القارئ، (١٣/ ٢٥٥). والسيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح، (٣/ ١١٥٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٣/ ٢٧٣).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (٦/ ٢٧٤).

خامسًا: أن زهاد الصوفية فيهم من كان على الكتاب والسنة والمنهج والاعتقاد الصحيح، وفيهم من عنده أخطاء في السلوك والتعبد لكن اعتقاده صحيح وهذا سبب مدحهم.

سادسًا: أن الزهاد الذين نسبهم الصوفية للتصوف، ومدحهم أهل العلم ولم يثبت تصوفهم؛ فهؤلاء أعلى في العلم والفقه والحديث من الذين ثبت تصوفهم. وذلك لأن الانتساب إلى طائفة أو فرقة خلاف الحق وهو وقوع في النهي عن التحزب والاختلاف.

سابعًا: أنه قد يرد أحيانـًا مدح للزهاد بإطلاق دون تخصيص شخص أو طائفة لا يمكن أن يصرف لشخص بعينه، ولا لجماعة مخصوصة، لأنه يجيء في سياق مدح الفعل وإطلاق الفاعل، والفاعل حقيقة شخص مستتر، لأن إظهار الزهد من الرياء، كما أن المدح يقع على مسائل قلبية وغيبية لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

فعن علي –رضي الله عنه– أنه قال: "طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطـًا، وترابها فراشـًا، وماءها طيبـًا، والكتاب شعاراً، والدعاء دثاراً، ورفضوا الدنيا رفضـًا"[1].

وإن كانت هذه ظواهر لكن ينبغي أن تكون مخفية بين العبد وربه، لا يطَّلِع عليها أحد من الناس، إلا أن يكون خارجـًا عن إرادته، فلا يُظهر حاله ولا يحكي أحواله وتعبده[2]، ولا بد في هذه الأمور من الإخلاص.

---

(١) انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، (١/ ٧٩).

(٢) وفي كرامات الأولياء التي يذكرها الصوفية في كتبهم حكايات يرويها أصحابها، قال السري السقطي: "نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها". أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (٣/ ٩٤). وقال أبو يزيد البسطامي: "لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره". أبو نعيم، حلية الأولياء، (١٠/ ٣٥).

وأخرج الحافظ أبو نعيم -رحمه الله- في حلية الأولياء عن إبراهيم بن أدهم – رحمه الله- قال: "أقرب الزهاد من الله عز وجل أشدهم خوفاً، وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم له عملاً، وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة، وأكرم الزهاد عليه أتقاهم له، وأتم الزهاد زهدا أسخاهم نفساً وأسلمهم صدراً، وأكمل الزهاد زهدا أكثرهم يقيناً"(1).

المطلب الثاني
شبه الصوفية في مدح علماء أهل السنة للزهاد

يدندن دعاة المتصوفة اليوم حول تزكية علماء أهل السنة والجماعة لكبار المتصوفة الزهاد العباد، ويجعلون من ذلك مدحاً للتصوف، ويُلبِّسون على العوام والعامة أن أئمة الإسلام مدحوا رجال الصوفية، وأنَّ التصوف عندهم ممدوح مقبول.

وفي استشهاد أهل السنة بأقوال زهاد الصوفية الموافقة لعقيدة السلف، مشكل عند من يظن أن هذا من قبيل المدح، وانظر إلى تبويب ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية: "أقوال الصوفية والزهاد أهل الاتباع وسلفهم" حيث ذكر جملة من زهاد التابعين وعدداً من الصوفية ونقل عنهم عقيدتهم في إثبات صفات الله تعالى كالعلو والاستواء.."(2).

ويكمن المشكل في الآتي:

- **إطلاق المدح على زهاد الصوفية وعدم نقد من أخطأ منهم.**

فكثير من علماء أهل السنة لم يبلغنا أنهم تعرضوا لنقد طريقة الزهاد واكتفوا بسلامة معتقدهم؛ فغضوا الطرف عن اجتهادهم في التعبد والسلوك، وذلك إما لاستشهادهم

---

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، (8/ 70).

(2) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، (1/ 169).

بأقوالهم على العقائد أو لاختصار الكلام في تراجمهم، أو لما يعلمون من أن المجتهد إذا أخطأ فله أجر. وهذا نظير ما تقدم من مدح الأئمة للتصوف وهو محمول على مدح الزهد والزهاد.

ومن الأمثلة:

- مدح شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد بن محمد.

قال ابن خلكان –رحمه الله: "الجنيد الصوفي أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدون"[1].

وقال الذهبي –رحمه الله– في ترجمته: "الجنيد بن محمد الإمام القدوة المحدث، أبو القاسم القايني، نزيل هراة، وشيخ الصوفية. قيل: كان فقيهاً فاضلاً، محدثاً صدوقاً، موصوفاً بالعبادة"[2].

ولم يذكر ابن الجوزي شيئاً في الثناء عليه، وإنما قال: "ولازم التعبد وتكلم على طريقة التصوف"[3].

وقد أطنب ابن كثير –رحمه الله– في الثناء عليه، فقال: "ولازم التعبد ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة وتكلم على طريقة الصوفية وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره"[4].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١/ ٣٧٣).

(٢) الذهبي، سير الأعلام، (٢٠/ ٢٧٢).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، (٦/ ١٠٥).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ١١٤).

وهذا المشكل في كتب التراجم غير الحديثية يسردون حياة الرجال وتاريخهم وأقوالهم وأعمالهم، ولا يتعرضون في أغلب الأحيان إلى بدعهم، وإن كان لهم موقف معروف من أهل البدع في كتب أخرى.

وكذلك من إنصاف أهل السنة والجماعة: أنهم يثنون على الرجل بقدر ما عنده من العلم والاتباع والسنة.

والذي يظهر في أقوال الجنيد –رحمه الله– وفي أفعاله بدع التصوف منها:

- حساب التسابيح، فليس من السنة أن يحسب الإنسان عدد تسابيحه وركعاته ولا أن يُعلِم بها غيره. أرأيت لو أن رجلاً قال أنه كل يوم أتصدق بكذا من المال! أيكون ذلك عملاً صالحـًا؟ حتى لو أراد أن يحث الناس على الصدقة، ما قبل الناس قوله.
- عدم النوم أو عدم النوم في فراش، وهذا زهد وتعبد رده النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره عنه ابن كثير –رحمه الله– ولم يعلق عليه.

ونقل ابن كثير –رحمه الله– عنه – أيضـًا : "إن الله هو الذى يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم، وإنما هذا من فضل الله عز وجل يلهمنيه ويجريه على لساني؛ فقال: فمن أين استفدت هذا العلم، قال: من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة... وقال: وسئل الجنيد عن العارف؟ فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت، وقال: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا وطريقتنا، ورأى بعضهم معه مسبحة؛ فقال له: أنت مع شرفك تتخذ مسبحة؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه"[(١)].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (١١/ ١١٤)

وهنا إشكال من نوع آخر؛ وهو أن بعض النقول يفهمها الصوفية على غير مراد هؤلاء الزهاد، أو يشرحها لهم من كان فاسد الاعتقاد.

فقوله عن العارف: "من نطق عن سرك وأنت ساكت" وهو قول يحمله المتصوفة على أن الأولياء يعلمون الغيب الخفي والظاهر؛ بل مطَّلِعون على ما في اللوح المحفوظ، وهو قول خطير.

وعلى فرض حمله على الفراسة فليس هذا هو تعريف للعارف، لأن الفراسة[١] أنواع، فهي قد تكون لغير أهل الإيمان، وإن أراد الفراسة الإيمانية فالمتصوفة يعملون على الفراسة الرياضية التي تكون بالجوع والسهر[٢]!

فثناء الأئمة على الجنيد –رحمه الله– ليس مطلقـًا، ولا ينفي ما عنده من بدع، وهو ليس ثناء على التصوف، وإنما من الإنصاف والعدل لما عنده من العلم وصحة الاعتقاد.

ومثل ما يُنسب للجنيد –رحمه الله : "أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء، هى كفر عند العامة، وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم، وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك"[٣].

(١) الفِراسة: بالكسر الاسم من قولك تفرَّسْت فيه خيراً وتفرَّس فيه الشيءَ توسَّمَه،قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** ﴾(سورة الحجر: ٧٥) وفي الحديث: (**اتَّقُوا فِراسَة المؤمن**) أخرجه: الترمذي، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب التفسير، رقم ٣١٢٧، (٥/ ٢٩٨)، وضعفه الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، (٧/ ١٢٧)، قال ابن الأَثير: يقال بمعنيَين، أَحدهما: ما دل ظاهرُ الحديث عليه، وهو ما يُوقِعُه الله تعالى في قلوب أَوليائه فيَعلمون أَحوال بعض الناس بنَوْع من الكَرامات وإِصابة الظنّ والحَدْس.

والثاني: نَوْع يُتَعَلَم بالدلائل والتَّجارب والخَلْق والأَخْلاق فتُعرَف به أَحوال الناس وللناس. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٨٢٢)، ابن منظور، لسان العرب، (٦/ ١٥٩).

(٢) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (١/ ٤٩٤).

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٤/ ٣٤١).

وفساد هذا القول وبطلانه ظاهر، -إن صح عنه- فالدين والشريعة ليس فيه ما ينكره العامة، وإنما هذه وساوس.

ومثله ما حكاه ابن عربي عن الجنيد أنه قال: "لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق:"[1].

وهذا مستبعد في صحته ونسبته إلى الجنيد بن محمد -رحمه الله- لأن عقيدة الباطن والحقيقة لا توجد عنده، وإنما هي من عقائد ابن عربي وأمثاله.

- مدح الشيخ عبد القادر الجيلي "الجيلاني".

مدح علماء أهل السنة والجماعة الشيخ عبد القادر الجيلاني وأثنوا كثيراً على عقيدته الموافقة لما كان عليه سلف الأمة، كما في كتبه وعلى وجه الخصوص كتاب الغنية لطالبي الحق عز وجل، وقد استدل أهل العلم ببعض أقواله في الرد على الصوفية الذين يغلون فيه وينتسبون له.

وتقدم معنا استشهاد ابن تيمية بذكر بعض أقواله في العقيدة وموافقته لسلف الأمة.

ومما قال في كتاب الغنية: "وهو باين من خلقه، ولا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش"[2].

ومع ثناء أهل العلم عليه فإن الشيخ اشتهر عنه التصوف والزهد والسياحة والخروج إلى البرية وهذا الطريق الذي سلكه لا يمدح بإطلاق لعدم فعل الصحابة رضوان الله عليهم له.

---

(١) ابن عربي، الفتوحات المكية، (٣/ ٢٤٧).

(٢) عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق، (١/ ١٢٤).

ومما يدل على ثبوت تصوفه ما ذكره الذهبي في السير أنه دخل بغداد وطلب العلم، فأحكم الأصول والفروع والخلاف، وسمع الحديث، وأنه قرأ الأدب ثم قال: "واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة والمقام في الخراب والصحراء، وصحب الدباس، ثم إن الله أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم، فعقد مجلس الوعظ في سنة إحدى

وعشرين، وأظهر الله الحكمة على لسانه، ثم درس، وأفتى، وصار يقصد بالزيارة والنذور، وصنف في الأصول والفروع، وله كلام على لسان أهل الطريقة عال"[1].

وقال ابن كثير –رحمه الله–: "وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحـًا ورعـًا وقد صنف كتاب "الغنية" و"فتوح الغيب" وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة"[2].

وروي عن أحد أبنائه أنه قال: "سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أيامًا لا أجد ماء، فاشتد بي العطش فأظلتني سحابة، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى. فترويت به. ثم رأيت نورًا أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات – أو قال: ما حرمت على غيرك – فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[3].

وإن استدل بهذا على صحة معتقده ومكانته وعلمه، لكن في سياحته دليل على تصوفه.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٤٤٤).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/ ٢٥٢).

(٣) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، (١/ ١٢٠).

والمشكل في مدحه يظهر في عدد من الأمور:

أولاً: أن مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني بإطلاق مع إمامته وسلامة عقيدته ورسوخه في العلم، مشكل لما ثبت من تصوفه، فلا بد من بيان مخالفته في السلوك للمنهج الحق.

ثانيًا: انتساب طائفة الصوفية القادرية إليه، وهي كبيرة جداً ومتفرعة في بلاد كثيرة، حيث ذكر محقق كتاب فتوح الغيب جملة كبيرة من بلدان العالم التي تنتشر فيها القادرية وعدداً من الطرق القادرية وفروعها ما يزيد عن عشرة من الطرق الصوفية[1].

فمدحه يعتبره هؤلاء الجهلة مدحـًا لطريقتهم، وبه يضللون العوام من أتباعهم.

ثالثًا: الكتب المنسوبة إليه، وفيها مصطلحات صوفية وأقوال بعيدة عن الحق تتنافى مع ما ثبت من كتبه ومؤلفاته وهي مما يستشهد بها المتصوفة. مثل كتاب سر الأسرار والأوراد القادرية

رابعًا: كثرة الأقوال المكذوبة عليه؛ حيث نسبت له أقوال لا تليق بمقامه العلمي وما جاء في ثناء العلماء إليه، وإن التمس لها بعض الصوفية التأويل، ولهذا يعد الشيخ عبد القادر الجيلاني من الأعلام الذين كذب الناس عليهم، ونسبوا له أقوالاً لم يقلها[2].

ففي الثناء عليه لا بد من بيان ذلك حتى يخدع الناس بعقائد باطلة مبنية على كذب عليه.

ومن أشهر العبارات المنسوبة إليه والتي ينقلها الصوفية: "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله"[3].

ومن ذلك أنه قال: "عثر الحسين الحلاج؛ فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده، وأنا لكل

---

(١) مقدمة فتوح الغيب، (ص١٧).

(٢) انظر: الأمين محمد الحاج، رسالة في الشيخ عبد القادر الجيلاني المفترى عليه، (ص٣) وما بعدها.

(٣) المكتوبات الربانية للسرهندي وقلادة الجواهر وجامع كرامات الأولياء للنبهاني

من عثر مركوبه من أصحابي، ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده"(١).

ونظير ذلك ما ذكره الشعراني في الطبقات الكبرى: "وكان رضي الله عنه يقول: أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي خفف الله عنه العذاب يوم القيامة"(٢).

وفيها -أيضاً-: "وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يقول: أقمت في صحراء العراق، وخرائبه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني يأتيني طوائف من رجال الغيب، والجان أعلمهم الطريق إلى الله عز وجل"(٣).

وإن كان قد ثبت عنه السياحة والتصوف، لكن يظل هذه المدة كلها وغيرها مما سيق في سياحته ولقياه الخضر وذكر صبره عليه وانتظاره في مكانه ثلاث سنين كذب صريح.

ونسبوا له في النهي عن اعتراض المريد على الشيخ قوله نظماً:

ولا تعترض فيما جهلت من ... أمره فإن الاعتراض تنازع

وفي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع(٤)

فلا شك أن إطلاق مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني دون بيان ما عنده من تصوف وما نسب إليه زوراً وبهتاناً، من تضليل العامة وعدم النصح لهم لكثرة من تأثر بالشيخ من الصوفية.

- **التأثير على عوام الصوفية بمدح الزهاد.**

فهم يقيسون بين الزهاد العباد وبين مشايخ الطرق الصوفية في الوقت الحاضر، وأنهم

---

(١) الشعراني، (١/ ١٢٥). الطبقات الكبرى، (١/ ١٢٥

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، (١/ ١٢٦).

(٣) الشعراني، الطبقات الكبرى، (١/ ١٢٨).

(٤) مقدمة فتوح الغيب، (ص١٣).

أهل الكرامات والمكرمات، وأهل الصلاح وأنهم هم الأولياء الأتقياء، مع الفرق الواضح بينهم في العقيدة والعبادة والزهد، فإن زهد الزهاد لا يوجد أبداً عند الصوفية المعاصرين، كما قال ابن مفلح –رحمه الله – في الفروع: "وهذا في أوائل الصُّوفيَّة – يقصد المتزهدين– فأمَّا في زماننا فلا يعرفون التَّعَبُّدَ ولا التَّقَلُّلَ وقَنَعُوا في إظهار الزُّهد بالقميص المرَقَّع فما العجب في نِفَاقِهِم إنَّما العجب نفَاقُهم"[1].

وعلى ضوء هذا القياس يستعبد زعماء الطرق الصوفية المريدين والأتباع، ويسخرونهم في خدمتهم ويأكلون أموالهم، ولا يعترضون على أقوالهم وأفعالهم؛ كأنهم ملائكة تنزلت من السماء.

وكذلك في تزكية التصوف والدعوة إليه، واستقطاب الناس وحشدهم فيه، والثبات عليه والدفاع عنه، والتغطية على ما عند الصوفية من انحرافات ومظاهر شركية وغير ذلك، بحجة أن هذا الطريق سلكه الأكابر الممدحين والأولياء الصالحين، الموسومين بالمعرفة والزهد والدين، ومما يعجب له أن يستدل بأقوالهم في الزهد والعمل والترغيب في الفضائل، ولا يلتفت إلى أقوالهم في العقيدة، بل غالباً ما يزعم الصوفية أنها مدسوسة في كتبهم.

وخلاصة القول في تعميم مدح الزهاد على التصوف، أن مدح الزهد لا يعني مدح التصوف، وكذلك مدح الزهاد لا يمكن أن يحمل على جميع الصوفية، فعلماء أهل السنة والجماعة مثلاً مدحوا الجنيد بن محمد وغيره، وهو مدح أعيان لا مدح فرقة، والفرق واضح بين الأمرين لكل أحد.

---

(١) ابن مفلح، الفروع، (٦/ ٣٨٢).

وتصحيح المسألة على التعميم حمل مدح الزهاد على الزهد، والزهد لفظ شرعي. أما التصوف فلفظ مبتدع، وكذلك التصوف لا يقابل الزهد.

وتوجيه ما جاء في الثناء على زهاد الصوفية.

أولاً: أن ثناء أهل العلم على الزهاد لا يعني الثناء على التصوف ومدحه مطلقـًا.

ثانيـًا: أن ثناء أهل العلم على زهاد الصوفية غالبـًا يكون لمن صحت عقيدته وتعبده، وموافقته لمجمل أصول أهل السنة والجماعة؛ وليس ثناء مطلقـًا على تزهده وتصوفه.

ثالثـًا: أن علماء أهل السنة غير معصومين، فمن أخطأ في مدح شخص، أو توسَّم فيه الصلاح وليس كذلك، ردَّ قوله.

رابعـًا: أن كلمة الزهد لا تعني التصوف ولا الزهاد هم المتصوفة، فلا بد من التفريق بين المصطلحات.

خامسـًا: أن بعض الأقوال مكذوبة على الأئمة في مدح التصوف وزهاد الصوفية ولا يوجد لها إسناد.

سادسـًا: توجد نقول متعارضة عن أئمة أهل السنة في مدح التصوف وذمه.

المطلب الثالث
عدم التفريق بين زهاد الصوفية والملاحدة المنتسبين للتصوف

أجمع أهل المقالات والفرق على دخول المتظاهرين بالإسلام في الفرق والطوائف الإسلامية ليَضلوا ويُضلوا[1]؛ المسلمين عن دينهم. ولهذا لما كان الناس في عهد النبوة والخلافة الراشدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسلمون أمة

(١) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، (١/ ٣٤٥) والرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الباب التاسع في الذين يتظاهرون بالإسلام وإن لم يكونوا مسلمين، (١/ ٧٦).

واحدة وجماعة واحدة، كان المتظاهر بالإسلام منافقاً، لأنه ليست ثمة فرق أو جماعات؛ فلما ظهرت الشيعة والخوارج في أواخر الخلافة الراشدة كثر المندسون في الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى، وتزعموا تلك الفرق.

وكذلك الحال في الطوائف الباطنية وكثير من الطرق الصوفية –اليوم– يتزعمها بعض عباد الجن، ومن يتعامل معهم من أهل الدجل والشعوذة والسحر والدنيا.

ثم إن العلماء ميَّزوا وفرَّقوا بين العقيدة الصحيحة، والعقائد الباطلة عند الصوفية؛ وبين أصحاب الاعتقاد الصحيح وأهل الحلول والاتحاد من المنتسبين للتصوف، وبهذا يتبين أن الأئمة لما أثنوا على زهاد الصوفية، كان ذلك مدح أشخاص لعلمهم وعملهم وصحة اعتقادهم، وليس مدحاً لطريقة التصوف كما أن مدح الشخص لا يلزم أن تكون كل أفعاله محمودة. فقد يمدح العالم بأنه إمام وعلامة وفقيه ومحدث؛ وعنده بعض البدع والمخالفات.

ومما يوضح ذلك الإكثار من استعمال أهل العلم لألفاظ: جهال الصوفية، وضلال الصوفية، وغلاة الصوفية، أو التبعيض في نسبة العقائد الباطلة للصوفية.

ومن الأمثلة:

قال ابن حزم –رحمه الله–: "وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية أنهم يقولون إن الولي أفضل من النبي، وكنا لا نحقق هذا على أحد يدين بدين الإسلام؛ إلى أن وجدنا هذا الكلام كما أوردنا فنعوذ بالله من الارتداد"[1].

وقال: "فإن من الصوفية من يقول إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى"[2].

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ٢١).

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ١٤٣).

وقال ابن عبد البر –رحمه الله– "في هذا الحديث إباحة طلب الظل والراحة، وأن الوقوف للشمس مع وجود الظل ليس من البر، في غزو كان ذلك أو غيره، لأنهم كانوا غازين مجاهدين حينئذ، وفيه الخروج بالزاد وفي ذلك رد على من قال من الصوفية لا يدخر لغد"(١).

وقال القرطبي –رحمه الله– في قول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾(٢) ، فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد"(٣).

وفي تفسير لفظ (المكاء) في الآية: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾(٤). قال القرطبي –رحمه الله–: "وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون"(٥).

وقال العيني(٦) –رحمه الله–: "وقد ادعى بعض غلاة الصوفية جواز رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الدنيا"(٧).

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد، (٣/ ٢٥٣).

(٢) سورة الكهف : من الآية رقم ٦٢ .

(٣) القرطبي، التفسير، (١١/ ١٣).

(٤) سورة الأنفال / من الآية رقم ٣٥ .

(٥) القرطبي، (٧/ ٤٠٠).

(٦) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب، ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية، ومن كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و(العلم الهيب في شرح الكلم الطيب) لابن تيمية، و(عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان). توفي ستة ٨٥٥هـ. حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، (٣/ ٣٠٧)، والزركلي، الأعلام، (٧/ ١٦٣).

(٧) العيني، عمدة القارئ، (٢/ ٢٧٦).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: "واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص سماع آلات الملاهي، وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين، فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص في اللهو"[1].

فالتصوف اختلط بعقائد فلسفية ووثنية ويهودية ونصرانية؛ وأصبح من رجال التصوف فلاسفة وملاحدة، وقد ذكر أهل العلم ذلك كما سبق الإشارة إليه، فالمتصوفة منهم من هو من أرباب الاعتقاد الباطل ومنهم ومن هو من أصحاب الاعتقاد الصحيح. فلا بد من التفريق بين الفريقين حتى لا يعم المدح الصالح والطالح.

ويستفاد مما سبق أن الصوفية ليست على الحق، ولا تصح الدعوة إلى الطرق الصوفية ولا إلى غيرها من الطوائف والفرق والجماعات، لأن التفرق والتحزب مذموم، وإنما الدعوة تكون إلى التمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ويضاف إلى ذلك أن الصوفية فرقة اختلط الحق فيها مع الباطل.

فمن المشكل في إطلاق المدح على الصوفية وعدم التمييز بينهم:

- أن الثناء يشمل الملاحدة المنتسبين للتصوف.

فالثناء على الصوفية بإطلاق يشمل مدح الزهاد والملاحدة والزنادقة المنتسبين للصوفية، كما أن الثناء على الصوفية ثناء على الباطل الذي عند أولئك الضلال، الذين كان لهم أثر واضح في تحول التصوف إلى فلسفيات شركية.

ومن أشهر هؤلاء أبو يزيد البسطامي والحلاج وابن عربي وغيرهم؛ ممن له أقوال

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، (٦/ ٥٥٣).

كفرية واعتقادات شركية وضلالات وبدع يشيب منها الغراب لا تحتمل التأويل أبداً[1]، وعامة الصوفية –اليوم– يعظّمون هؤلاء وأمثالهم.

قال ابن الجوزي –رحمه الله : "وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلاً منهم، وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء، .... ثم ذكر قول النصر أبادي كان يقول: "إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج" قال قلت: وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا، جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل"[2].

وهكذا اليوم صوفية زماننا، يرون أنه موحد، وأن الناس لم يفهموا أقواله وإشاراته، وحكموا عليه بالباطل وأنه قتل مظلوماً.

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي –رحمه الله– اختلاف عماء الصوفية قديماً في شأنه، فقال: "والمشايخ فى أمره مختلفون. رده أكثر المشايخ، ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف. وقبله جامعة منهم –سماهم– ؛ وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين"[3].

وحكى الهجويري –رحمه الله– موقف الصوفية من الحسين بن منصور الحلاج فقال: "ابن منصور الحلاج رضي الله، كان من سكارى هذه الطريقة ومشتاقيها، وذا حال

---

(١) وقد حاول السهروردي أن يعتذر للبسطامي والحلاج لبعض أقوالهما من غير أن يأتي بما يشفي، فقال: "مثل قول الحلاج: أنا الحق، وما يحكى عن أبي يزيد من قوله: سبحاني، حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يعتقد في قول الحلاج ذلك، ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمراً لشيء من الحلول رددناه كما نردهم". السهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٦٨).

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، (١/ ٢١٣).

(٣) السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٩١

قوي؛ وهمة عالية. ثم ذكر اختلاف الصوفية فيه وفرق بينه وبين آخر يدعى الحسن بن منصور الحلاج ملحد من أهل بغداد وأن هناك فرقة ملحدة يسمون بالحلاجيون غلو في أقواله. واعتذر له ومدحه ورجح مذهب من يتولاه. وقال: "وكان الحسين رضي الله عنه طوال عمره في لباس الصلاح، من صلوات طيبة، وأذكار ومناجات كثيرة، وصيامات متصلة، وتحميدات مهذبة، ونكات لطيفة في التوحيد"(١).

قال الذهبي -رحمه الله- في ابن عربي وكتابه فصوص الحكم: "ومن أردأ تواليفه كتاب "الفصوص" فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله"(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-، في الرد على عقائد ابن عربي وتكفيره: "فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب وللرسل المثل بلبنة فضة فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟! تلك أمانيهم: ﴿ **إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ** ﴾(٣)، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا وفيه ما يخفى منه الكفر ومنه ما يظهر فلهذا يحتاج إلى نقد جيد ليظهر زيفه فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿ **لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ** ﴾(٤) ، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الأسفل من النار والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام"(٥).

---

(١) الهجويري، كشف المحجوب، (ص٣٦٢، ٣٦٣)

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ٤٨).

(٣) سورة غافر : من الآية رقم ٥٦ .

(٤) سورة الأنعام : من الآية رقم ١٢٤ .

(٥) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (١/ ٤٩٢).

- **أن الثناء يقع على عقائد الصوفية الباطلة وأقوالهم الكفرية.**

إطلاق الثناء على التصوف أو الزهاد دون تفصيل وبيان، فيه تعمية للمندسين في التصوف وللملاحدة منهم؛ إذ لا بد من كشف حالهم وبيان ضلالهم، وحتى لا يقع الثناء المطلق على على جملة من العقائد والطقوس والبدع التي عند الصوفية.

وهذا لا يعني أن الصوفية ليس فيهم من كان على عقيدة صحيحة؛ ينكر ما سنذكره من العقائد الباطلة، وهذه قاعدة عامة في ذكر عقائد أغلب الصوفية اليوم، وهي عقائد من يتولونهم ويثنون عليهم من ملاحدة التصوف، وهي عقائد تبرأ عنها جملة من الزهاد.

ولهذا يعذر من مدح التصوف من السلف، لأن كلامهم كان عن طائفة مخصوصة في وقت مخصوص، وكانت على منهج السلف، متمسكين بالكتاب والسنة، ولم تقع منهم المخالفات العقدية الموجودة اليوم عند عامة الصوفية.

ومن أبرز عقائد الصوفية الباطلة:

- **(الاتحاد والحلول)**، يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى، منها الحلول كما هو مذهب الحلاج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق.

في التعريفات: "الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً، .. وقيل: الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً، لاتصال نهايات الاتحاد"[1].

فمذهب الاتحادية: "أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة"[2].

وهو مذهب ابن عربي وكل من يمدحه من الصوفية فهو على شاكلته، ومن ذلك قوله

---

(١) الجرجاني، التعريفات، (١/ ٢٢).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٢/ ١٤٠).

في الفتوحات المكية: "الرب حق والعبد حق *** ياليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبد فذاك ميت *** أو قلت رب أنى يكلف!"(١).

وقال: "فالعالم المشغول به من يقول: (ما ثَمَّ إلا الله وأنا)، فيفني الكل في جانب الحق"(٢).

والحلول: فهو عبارة عن اتحاد الجسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى بالسرياني لأن الساري حالاً والمسري فيه محلاً(٣).

والحلولية طوائف كثيرة، منهم من يقولون إن الله تعالى يحل في صورة الحسان ومتى ما رأوا صورة حسنة سجدوا لها. ومنهم الحلولية الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الأئمة وعبدوا الائمة لأجل ذلك(٤).

قال الحلاج في عقيدة الحلول:

رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت: من أنت، قال: أنت

فليس للأين منك أين ... وليس أين بحيث أنت

أنت الذي حزت كل أين ... بنحو: (لا أين) فأين أنت"(٥).

---

(١) ابن عربي، الفتوحات المكية، (١/ ٤٢).

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية، جز٣٧، (٦/ ٢٤٨).

(٣) الجرجاني، التعريفات، (١/ ١٢٥)، والتوقيف على مهمات التعاريف، (١/ ٢٩٥

(٤) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، (١/ ٢١٥)، والإسفرائيني، التبصير في الدين، (١/ ١٢٠)، وابن تيمية، الاستقامة، (٢/ ١٩٦).

(٥) المرجع السابق، الطواسين، (ص١٨٠).

وقال أيضـًا:

لم يبقى بيني وبين الحق تبيان ... ولا دلائل آيات وبرهان

كل الدليل له، منه، إليه، به ... حق، وجدناه في علم وفرقان

هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي ... هذا توحد توحيديوإيماني

هذا تجلي طلوع الشمس نائرة ... قد أزهرت في تلاليها بسلطان

لا يستدل على الباري بصنعته ... وأنتم حدث يفنى لإزمان

هذا وجود الواجدين له ... بين التجانس، أصحابي وخلاني

وذكر الطوسي في اللمع من كلام البسطامي، فقال: "ذُكر عن أبي يزيد أنه قال: "رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا"[1].

وحاول السهروردي أن يدافع عن الصوفية القائلين بالحلول، وعن كلام البسطامي المتقدم، فقال: "ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها، ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت. ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوهم، ويتخايل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمراً لشيء مما زعموه، مثل قول الحلاج: أنا الحق، وما يحكى عن أبي يزيد من قوله: سبحاني، حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يعتقد في قول الحلاج ذلك، ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمراً لشيء من الحلول رددناه كما نردهم"[2].

---

(١) الطوسي، اللمع في التصوف، (١/ ٤٦١).

(٢) السهروردي، عوارف المعارف، (١/ ٦٨).

وهذا دفاع مقيت محشو بالتعصب؛ ولو قال: بأنه لم يثبت، أو بأي عبارة نفي لكان أفضل، وهو يقول قال في بعض غلباته وسكره! وهذا تناقض وباطل، أو أنه لم يضمر الحلول! بالله كيف يقول إنسان عن نفسه سبحاني! أو أنا الله! ثم يُخرج كلامه أنه على سبيل الحكاية عن الله! فإنه لا يجوز أن يصف نسفه بصفة الله تعالى حتى ولو كان اقتباساً من القرآن الكريم.

والكلام على ظاهره لمن وصف نفسه بما تقدم وهو قول الحلولية إلا أن يصرح بأنه يضمر خلاف ذلك.

وقد يعبر الصوفية عن الاتحاد والحلول معتقدهم في تجلي الذات وتجلي الصفات، وأن تجليات الصفات عبارة عن قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب قبولاً أصلياً حكمياً قطعياً، كما ذكر ذلك في الإنسان الكامل، فقال:

ما للخليقة إلا اسم الوجود على ... حكم المجاز وفي التحقيق لا أحد

فعندما ظهرت أنواره سلبوا ... ذاك التسمي فلا كانوا ولا فقدوا

أفناهم وهم في عينهم عدم ... وفي الفناء فهم باقون ما جحدوا

فعندما عدموا صار الوجود له ... وكان ذا حكمه من قبل ما جحدوا

فالعبد صار كما أن لم يكن أبداً ... والحق كان كما أن لم يزل أحد

لكنه عندما أبدى ملاحته ... كسا الخليقة نور الحق فاتحدوا

أفنى فكان عن الفاني به عوضاً ... وقام عنهم وفي التحقيق ما قعدوا

كالموج حكمهم في بحر وحدته ... والموج في كثرة البحر متحد

فإن تحرك كان الموج أجمعه ... وإن تسكن لا موج ولا عدد[1].

---

(١) عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، (١/ ٦٨).

- **(تعطيل صفات الله تعالى)**: وتعطيل الصفات فرع من فهم المغلوط في التوحيد، والذي هو مشابه لتعريف المتكلمين حيث يذكرونه في بعض تعاريفهم قال القشيري: "وقال بعض أهل التحقيق في معنى أنه واحد: نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته"(١).

ولهم تعريف خاص بهم ما سبقهم عليه أحد -كما ذكروا ذلك- فقالوا: "التوحيد الذي انفرد به الصوفية: هو إفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب، وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجمع"(٢).

وجعلوا التوحيد ثلاثة أقسام، قال الهروي -رحمه الله-: "التوحيد على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد.

والوجه الثاني: توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق.

والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة"(٣).

أما تعطيل الصفات فإن أغلب المتصوفة على مذهب التفويض والتأويل في صفات الله عز وجل، وفق عقيدة الأشاعرة والماتريدية، كما هو حال صوفية اليوم(٤).

---

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٣٥).

وهذا قريب من تعريف المتكلمين: " إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له". انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، (١/ ٤٠).

(٢) انظر: القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ١٣٦)، وابن خميس، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، (ص٣٥٧).

(٣) الهروي، منازل السائرين، (١/ ١٣٥). وانظر: كلام الكاشاني في تعريف التوحيد في البدايات والأحوال والولايات وغيرها من المسميات، معجم الكاشاني، (ص٣٧٨).

(٤) انظر: العلوي، محمد بن علي المالكي، مفاهيم يجب أن تصحح، في ثنائه على الأشاعرة، (ص١١٤). وانظر: موسوعة أدلة الصوفية، ذكر أن مذهبهم التأويل النصوص المتعلقة بتوحيد الله وصفاته، يوسف خاطر، الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، (ص٦٣٧).

ففي جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها[1]

وقد أصلوا لمذهب التفويض وأنه قول الخلف؛ وهو عندهم أحكم من قول السلف، وفي شرح هذا البيت قالوا : "فما يوهم الجهة قوله تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾[2] فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالي في العظمة فالمعنى يخافون أي الملائكة ربهم من أجل تعاليه في العظمة أي ارتفاعه فيها"[3].

فهم على إنكار الصفات كالعلو "الجهة" -على حد قولهم- فيقولون ليس في السماء ولا في الأرض[4].

ومنهم من يقول إن الله تعالى في كل مكان، قال الحلاج:

وأي الأرض تخلو منك ... ... حتى تعالوْا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إِليك جهراً ... ... وهم لا يبصرون من العماء[5]

وفي هذين البيتين تعطيل؛ وفيهما عقيدة الحلول، لأنه يقول إن كل ما يرونه هو أنت.

- **(الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم)**، فالغلاة من الصوفية يعتقدون في الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عقائد شتى، فمنهم من يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف كما قال البسطامي:

---

(١) اللقاني، جوهرة التوحيد، بيت رقم ٤٠، (ص٤).

(٢) سورة النحل : من الآية رقم ٥٠

(٣) البيجوري، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، (ص ١٠٤).

(٤) انظر : البيضاوي، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، (ص١٦٩).

(٥) قاسم عباس، الأعمال الكاملة للحلاج، ديوان الحلاج، (ص٢٨٨).

(خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله)[1] ، وهذا المعتقد عندهم مشهور في تفضيل الولي على النبي.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ثم صاحب الفصوص وأمثاله، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك؛ فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة"[2].

وبوَّب عبد الكريم الجيلي في الإنسان الكامل: "الباب الثامن والخمسون في الصورة المحمدية

وأنها النور الذي خلق الله من الجنة والجحيم والمتحد الذي وجد من العذاب والنعيم"[3].

وذكر في الكمالات الإلهية: "أول ما خلق الله نور محمد"[4] كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه ليرحم به الموجودات الكونية فيخلقها على نسخته ويستخرجها من نسخته فخلق الله منه العرش والكرسي وسائر العلويات والسفليات لتكون مرحومة به"[5].

والتوسل بالنبي صلى الله عليه وبقبره، وطلب الشفاعة منه في كتب المعاصرين[6]، وهو مما يشاهد اليوم من غلو الصوفية عند قبره من التوجه إليه بالدعاء، ومحاولة الطواف بالقبر.

---

(١) تقدم ذكره (صفحة ١٠).

(٢) ابن تيمية، رسالة في حقيقة مذهب الاتحاديين، (ص٦٤).

(٣) عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، (١/ ١٨٢).

(٤) هذا الحديث مشهور على ألسنة الصوفية وهو بلفظ "نور نبيك" ولا أصل له في كتب السنة والمسانيد والمعاجم، وقد ضعفه الألباني في معرض حديث آخر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (١/ ٤٥٧).

(٥) عبد الكريم الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، (ص١١).

(٦) المالكي، مفاهيم يجب أن تصحح، (ص١٢٨ وما بعدها).

- **(الغلو في الأولياء)**، يعتقد الصوفية في الأولياء عقائد كثيرة، كتفضيل الولي على النبي، وجعل الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون.

ولهم تقسيمات للولاية والأولياء، وألقاب أحدثوها، واعتقادات باطلة، ومنهم يعتقد فيهم النفع والضر ويتخذهم وسائط بينهم وبين ربهم سواءً كان في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى، وعمل الصالحات، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً فضلاً عن أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله: ﴿ **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**﴾[1].

والغلو في الأولياء مبني على كذب وتضليل صريح للعوام من مشايخ الطرق الصوفية الذين لا يستحون من الكذب على الله سبحانه وتعالى:

كقول الدسوقي: أنا كنت مع نوح لما شهد الورى *** بحورا وطوفاناً على كف قدرتي

أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه *** وما أنزل الكبش إلا بفتوتي

أنا كنت مع أيوب في زمن الولاء *** وما شفيت دعواه إلا بدعوتي[2]

ويبرر الصوفية مثل هذا النقل بقولهم: "إن لله عباداً محوا أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذواتهم بذواته وحملهم من أسرارهم ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه، وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات، فهي إذاً فناءات ثلاث أن يفنيك عن أفعالك

---

(١) سورة الجن : الآية رقم ٢١ .

(٢) أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، (ص٧٢). وذكروا أن هذا من باب فنائه في ذات النبي عليه السلام.

بأفعاله وعن أوصافك بأوصافه، وعن ذاتك بذاته"[1].

ومن الغلو ما يعتقده التجانية في شيخهم أنه أعطي اسم الله الأعظم وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب"[2].

- **(المصطلحات المحدثة المخالفة للدين)** وللصوفية مصطلحات مبتدعة وتتضمن اعتقادات باطلة، من ذلك أنهم يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار.

ومن المصطلحات:

- **(الفناء)**: وهو حقيقة التوحيد عند الصوفية، وبه ربطوا كل شعائر الدين؛ وولَّدوا مصطلحات توصل إليه. قال الطوسي في اللمع: "الفناء فناء صفة النفس، وفناء المنع والاسترواح إلى حال وقع، وأيضـًا: فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك"[3].

وقال الكلاباذي –رحمه الله–: "فالفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز فناء عن الأشياء كلها شغلا بما فني به"[4].

وفي معجم مصطلحات الصوفية: "زوال الرسوم جميعـًا بالكلية في عين الذات

---

(١) ابن عطاء السكندري، لطائف المنن، (ص٤٦).

(٢) انظر: علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني (ص٢٦٢).

(٣) الطوسي، اللمع، (١/ ٤١٧).

(٤) الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، (١/ ١٢٣).

الأحدية مع ارتفاع الاثنينية، وهو مقام المحبوبية"[1].

وذكروا له صوراً في البدايات والأبواب والمعاملات والأخلاق والأصول والأدوية والأحوال والولايات والحقائق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "والفناء ثلاثة أقسام: فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى"[2].

وبيَّن –رحمه الله– خلط الصوفية في الفناء بين المعنى الصحيح والمعاني الباطلة التي تؤول إلى الحلول فقال: "**فالأول**: هو فناء أهل الوحدة الملاحدة، كما فسروا به كلام الحلاج وهو أن يجعل الوجود وجودًا واحدًا.

وأما الثاني: وهو الفناء عن شهود السوى: فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين، كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام[3]، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل.

وأما النوع الثالث: وهو الفناء عن عبادة السوى: فهذا حال النبيين وأتباعهم، وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له، وهو الحنيفية ملة إبراهيم"[4].

---

(١) الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية، (١/ ٣٦٥).

(٢) ابن تيمية، الرسالة التدمرية، (١/ ٢٢١)، ومجموع الفتاوى، (٢/ ٣٤٢).

(٣) هو الوله الغالب على العقل، وهو قريب من الهيمان. الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، (ص٥٥)، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (١/ ٣٩٤).

(٤) ابن تيمية، الرسالة التدمرية، (١/ ٢٢٢)، ومجموع الفتاوى، (٢/ ٣٤٣).

(الأقطاب والأوتاد): وما ضاهى هذه الألفاظ والألقاب التي تضفى على الأولياء والصالحين، وهي من الغلو فيهم، وإفرادها بالذكر لما تتضمنه من اعتقادات كفرية.

قال السلمي -رحمه الله :"الأبدالُ بالشام، والنُّجَباءُ باليمن، والأَخيار بالعراق"[1].

وللصوفية في عددهم ومهامهم اعتقادات شتى وكأنهم ملائكة أوكل الله إليهم أعمالاً كحفظ الكون؛ وأعجب من ذلك ما يقومون به من رفع دعاء العباد إلى الله تعالى، وهذا من الشرك الصريح؛ قال الشعراني: "النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب والنجباء مصر، والأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، والغوث مسكنه بمكة فإذا عرض حاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد ثم الغوث فلا يتم الغوث مسألته حتى تجاب دعوته"[2].

وفي معجم مصطلحات الصوفية: "القطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو قلب إسرافيل عليه السلام"[3].

وهذا مما ليس دليل له فيما أوحاه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة، إلا أن يكون لهم وحي خاص بهم، أو نبيناً غير نبينا صلوات الله عليه.

- **(الغوث والغياث)**: يعتقد الصوفية أن الأولياء يغيثون الملهوف ويمدونه بإعانة منهم، وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى بعدم جواز إطلاق لفظ الغوث لغير الله تعالى، فقال: "فأما لفظ الغوث والغياث؛ فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب ولا نبي

(١) السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٧٧).

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى، (١/ ١١٠).

(٣) الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية، (١/ ١٦٢).

مرسل"[1].

وكلام الصوفية طلب الغوث من غير الله تعالى مدرج في كلامهم عن المدد؛ حيث يرون أن طلب المدد من الأولياء جائز، ومعناه علمونا مما علمكم الله، وأمدونا مما أمدكم الله سبحانه به من العلوم والعرفان، وساعدونا بما ينفعنا لسيرنا[2].

ومعلوم أن طلب المدد من الغائب دعاء لغير الله وهو شرك صريح، وطلب المدد من الحاضر الحي فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أيضـًا.

ويستدل الصوفية على الاستغاثة بغير الله؛ وطلب المدد وجواز دعاء ونداء غير الله عز وجل، وقول يا عباد الله ويا أولياء الله أغيثوني، بحديثين:

الأول: (عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ، -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللهِ، احْبِسُوا عَلَيَّ، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا عَلَيَّ، فَإِنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ)[3].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١/ ٤٣٧).

(٢) يوسف خطار، موسوعة أدلة الصوفية، (ص١٢٤).

(٣) أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم (١٠٣٦٧)، (٩/ ٦٧). وأخرجه أبو يعلى: في المسند، حديث رقم (٥٢٦٩)، (٩/ ١٧٧). والحديث فيه معروف بن حسان وهو ضعيف وقيل منكر الحديث وضعفه البوصيري، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، برقم (٥٤٦٩)، (٦/ ٤٠)، وضعفه الهيثمي، معجم الزوائد، برقم (١٧١٠٥)، (١٠/ ٩٣). وقال النووي: " حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه افلتت له دابّة أظنُّها بغلة، وكان يَعرفُ هذا الحديث، فقاله؛ فحبسَها اللّه عليهم في الحال". الأذكار، (١/ ٢٨٥)، قال الألباني بعد تضعيفه للحديث معلقـًا على كلام النووي،: "العبادات لا تؤخذ من التجارب، سيما ما كان منها في أمر غيبي كهذا الحديث، فلا يجوز الميل إلى تصحيحه بالتجربة! كيف وقد تمسك به بعضهم في جواز الاستغاثة بالموتى عند الشدائد وهو شرك خالص. والله المستعان". الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٦٥٥)، (٢/ ١٠٨).

والثاني: (عَنْ عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ -رضي الله عنه-، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: "يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ"، وَقَدْ جَرَّبَ ذَلِكَ)[١].

وفي موسوعة أدلة الصوفية: "وفي هذه الأحاديث دلالة على أن الله سبحانه وتعالى قد خص عباداً بأسرار وإمدادات؛ ليخدموا بها المؤمنين، مهما كان بين الداعي والمجيب من مسافات شاسعة، وذلك كله بأمر الله تعالى، وهذا دليل صريح بجواز طلب المدد من عباد الله"[٢].

وكثير من دعاة التصوف -في هذا العصر- لا يستحي من تبرير الباطل وإن كان شركـًا، من نداء ودعاء لغير الله تعالى.

- **(الوقوع في الشرك ومظاهره)**، فإن التصوف أصبح مشوبـًا بمظاهر شركية وقبورية كثيرة، لا تخفى على أحد، بل إن نصرتهم لهذه العقائد الباطلة ودفاعهم عنها فاق حد التصور، إذ يكفرون من خالفهم وأنكر عليهم.

---

(١) أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير، برقم (١٣٧٣٧)، (١٢/ ٤٤). قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة". الهيثمي، معجم الزائد، برقم (١٧١٠٣)، (١٠/ ٩٣)، وضعفه الألباني وأعله بضعف بعض رواته والانقطاع الذي ذكره الهيثمي، ثم قال معلقـًا على الحديث: "وأما دعوى الطبراني رحمه الله بأن الحديثَ قد جرب، فلا يجوز الاعتماد عليها، لأن العبادات لا تثبت بالتجربة، كما سبق بيانه في الحديث الذي قبله. ومع أن هذا الحديث ضعيف كالذي قبله، فليس فيه دليل على جواز الاستغاثة بالموتى من الأولياء والصالحين، لأنهما صريحان بأن المقصود بـ (عباد الله) فيهما خلق من غير البشر، بدليل قوله في الحديث الأول: (فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليهم). وقوله في هذا الحديث : (فإن لله عبادا لا نراهم). وهذا الوصف إنما ينطبق على الملائكة أو الجن ، لأنهم الذين لا نراهم عادة ، وقد جاء في حديث آخر تعيين أنهم طائفة من الملائكة". الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٦٥٦)، (٢/ ١٠٩).

(٢) يوسف خطار، موسوعة أدلة الصوفية، (ص ١٣١).

وقد جرهم على ذلك غلوهم في الأولياء والصالحين، وفيما تقدم من مصطلحات وألقاب لم تخلوا من الشرك كما سبق بيانه.

أما شركيات القبور: من التمسح بها والتبرك وطلب الشفاء، فقد ذكر الصوفية في ترجمة معروف الكرخي ما يفضح شركهم، ومن ذلك قولهم: "وقبرُه ببغدادَ ظاهرٌ، يُسْتَشْفي به، ويُتَبَرَّك بزيارتِه". وقولهم: "قبر معروف التِّرْياقُ المُجَرَّبُ". وقولهم: "كان مجاب الدعوة، يستشفي بقبره"، وقولهم: "قبره معروف لقضاء الحوائج"[1].

ودعاء غير الله وطلب ما لا يقدر عليه الله كشفاء الداء العضال لا دواء، وإنزال المطر من السماء حين الحاجة إليه ولا سحاب، وقلب الأعيان وغير ذلك من الشرك الذي منثور ومنشور في كتب الصوفية؛ واعتقاداتهم التي يقاتلون من أجلها[2].

وقد جوز الصوفية الاستغاثة والاستعانة بغير الله، وأدرجوا ذلك في كلامهم عن جواز التوسل بالذوات أحياء وأمواتـًا[3].

---

(١) انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٣٩)، والقشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٨)، وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ٤٧).

(٢) انظر: محمد علوي المالكي، مفاهيم يجب أن تصحح، (ص١٨٠)، وقد عنون متسائلاً متهكماً: (هل طلب ما لا يقدر عليه إلا الله شرك)، نعم شرك وهل يوجد مسلم يشك في ذلك!؟ وإذا كان إنزال المطر يقدر عليه غير الله تعالى، فلماذا شرعت صلاة الاستسقاء؟ ولماذا أرسل الله تعالى الرسل عليهم السلام؟ فهذا حال مشركي زماننا، والله المستعان.

قال البرعي السوداني: إن ناب خطب في البلاد نزيل ... قل يا ولي الله إسماعيل. البرعي السوداني، رياض الجنة ونور الدجنة، (ص١٣٨).

(٣) انظر: يوسف خطار، الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، (ص٨٠) وفيه عنوان: الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات، (ص١٠١).

وإن المقلق جداً أن ينطلي مدح الزهاد على الصوفية الذين غرقوا في الباطل، وطفح شركهم، وقد كان قبل قرن من الزمان وأكثر، شرك عند الجهال وعوام الصوفية، واليوم أصبح الشرك عند المتعلمين منهم؛ وقد رقى بعضهم منابر العلم والوزارات والتدريس في الجامعات، وخطر هؤلاء كبير على الأمة لأن عندهم شبه وتأصيل للشرك، مما يستوجب زيادة بيان وتحذير عن الصوفية.

وقد حذرت اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء من خطر تولي الصوفية التدريس، فقالوا: "فالواجب الحذر من الصوفية ومن يتبعها رجالا ونساء، ومن توليهم التدريس والتربية، ودخولهم في الجمعيات النسائية وغيرها، لئلا يفسدوا عقائد الناس، والواجب على الرجل منع موليته من الدخول في تلك الجمعيات أو المدارس التي يتولاها الصوفية أو يدرسون فيها، حفاظا على عقائدهن، وحفاظا على الأسر من التفكك وإفساد الزوجات على أزواجهن، ومن اعتنق مذهب الصوفية فقد فارق مذهب أهل السنة والجماعة، وإذا اعتقد في شيوخ الصوفية أنهم يمنحون البركة، أو ينفعون أو يضرون فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء الأمراض وجلب الأرزاق ودفع الأضرار ، أو أنهم تجب طاعتهم في كل ما يقولون ولو خالفوا الكتاب والسنة – من اعتقد ذلك فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة"(١).

أقوال الصوفية وشطحاتهم الكفرية:

سلك بعض الصوفية طريق الفلسفة فأتوا بأقوال كفرية، كما سلك فريق منهم التعامل مع الجن والدجل والشعوذة وتحضير الأرواح معتقدين أن ذلك من التصوف، ووقع

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء، المملكة العربية السعودية، برقم ١٦٠١١، (٢٨/ ٧٨).

آخرون منهم في الغلو في الأولياء والصالحين، فاهتموا ببناء الأضرحة على قبور الأولياء وإنارتها وزيارتها والتمسح بها والتبرك بها، وكل ذلك من البدع المخالفة للدين.

وقد أتى الصوفية بألفاظ كفرية في عقائدهم الباطلة، وسموها "شطح" ليكون ذلك تأويلاً على أنها ليست بكفر، قال الطوسي في اللمع عن معنى الشطح: "عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته"[1].

وعامة الصوفية على ما ذكره الطوسي أن الشطح من مقامتهم، وهو من الكشف الذي خص الله به أوليائه، وأن كل واحد منهم نطق بحقيقة ما وجد، ولا يفسر كلامهم إلا من بلغ من العلم وليس لأحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه[2]، مع إقرارهم بأنها ألفاظ مستشنعة وظاهرها الكفر الصريح الذي لا يقبل التأويل.

من أمثلة الشطح:

قال الحلاج في الطواسين: "وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس، حيث إبليس تغير عليه العين، وهجر الألحاظ في السير، وعبد المعبود على التجريد، ولعن حين وصل إلى التفريد، وطُلب حين طلب المزيد"[3].

وقال أيضـًا: "لولا أن الله تعالى قال لأملأن جهنم ، لكنت أبصق في النار حتى تصير على أهلها ريحانـًا"[4].

-وعند غلاة الصوفية قول واعتقاد مشهور وهو رفع التكاليف عنهم-أو إسقاط

---

(١) الطوسي، اللمع في التصوف، (١/ ٤٥٣).

(٢) انظر: السجلماسي، أحمد بن المبارك، فقد ذكر في كتابه الإبريز: باب في "تفسيره رضي الله عنه لبعض ما أشكل علينا من كلام الأشياخ رضي الله عنهم"، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، (ص٣٧٤)

(٣) انظر: السجلماسي، أحمد بن المبارك، فقد ذكر في كتابه الإبريز: باب في "تفسيره رضي الله عنه لبعض ما أشكل علينا من كلام الأشياخ رضي الله عنهم"، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، (ص٣٧٤)

(٤) المرجع السابق، نصوص الولاية، (ص٢٣٥

التكاليف عن الأولياء–، أي: أن العبادة تسقط فرضيتها عليهم، لأنهم وصلوا إلى مقام الحقيقة والمعرفة الكاملة فلا يحتاج إلى القيام بذلك.

وقد نقل الشعراني في كتابه الطبقات[1] كرامات بعض الأولياء، وفيها عدم الصلاة، والأكل والشرب في نهار رمضان، لا لعذر وإنما لأجل أنها رفعت عنهم.

قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله : "وفى النساك قوم يزعمون العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم، وفيهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم أن يروا الله سبحانه؛ ويأكلوا من ثمار الجنة، ويعانقوا الحور العين في الدنيا"[2].

وإن كان هذا رده وأنكره بعض الصوفية، قال الكلاباذي –رحمه الله–: "وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله أو تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر والعلة ما أجمع عليه المسلمون وجاءت به أحكام الشريعة"[3].

كما أدخلوا في معنى رفع التكليف رفع الحرج واللوم عند ارتكاب المحظورات، وما يصدر عنهم من أقوال كفرية، ومن ذلك قولهم:

فلا تلم السكران في حال سكره *** فقد رفع التكليف في سكرنا عنا[4]

وعدَّ الصوفية ما تقدم من كلام البسطامي، في الحلول أه شطح، حيث قال: "رفعني

---

(١) انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ذكر عن شيخ سماه الشريف المجذوب أنه كان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول أنا معتوق أعتقني ربي، (١/ ٣٨٠).

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (١/ ٢٨٩).

(٣) الكلاباذي، التعرف لمذهب الصوف، (١/ ٥٩).

(٤) أبو بكر بناني الدباغي، شرح القصيدة النقشبندية، (الفتوحات القدسية في شرح قصيدة حال السلوك عن الصوفية)، (١/ ٢٤١

مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا"(١).

وعده أبو السراج الطوسي بعدما نقله في لمعه؛ من الشطح الذي يمكن تفسيره، وحمله على معنى لا يقدح في صاحبه.

ونقل أبو القاسم القشيري عن أبي الحسين النوري(٢): "أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد، إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربى".

ثم قال وفى هذا المعنى أنشدوا:

وجودي أن أغيب عن الوجود *** بما يبدو عليَّ من الشهود(٣).

بالله كيف يجوز لنا أن نطلق المدح على أولئك الصوفية وهؤلاء المتصوفة؟ إذا كان هذا هو حالهم! وتلك أقوالهم! التي تكشف معتقداتهم! وإن سلم من تقدم منهم من الزهاد العباد، فإن الصوفية اليوم يتبنون ما ذكرناه من العقائد الباطلة، والشطح الكفري، ويفرون من العقيدة الصحيحة والتوحيد وسلامة المنهج، وما كان عليه أهل الزهد المتمسكين بالكتاب والسنة والسالكين طريق سلف الأمة.

أسأل الله أن يهدينا وإياهم وجميع المسلمين الصراط المستقيم، والثبات على الحق إلى يوم الدين، وأن يرحمنا في الدنيا والآخرة، وأن يتجاوز عنا ويدخلنا جنته،،

---

(١) الطوسي، اللمع في التصوف، (١/ ٤٦١).

(٢) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري البغدادي، خراساني الأصل يعرف بابن البغوي، صحب السري وابن أبي الحواري، توفي سنة ٢٩٥هـ. السلمي، طبقات الصوفية، (١/ ٥٧) وابن الملقن، طبقات الأولياء، (١/ ١٠).

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، (١/ ٣٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فأحمد الله تبارك وتعالى في ختام هذا البحث على توفيقه وتيسيره، وما مَنَّ عليَّ من نعمه وإفضاله، وأسأله من فضله أن يزيدنا في نعمة العلم طلباً واشتغالاً به، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وكان من توفيق الله تعالى لي كتابة هذا الموضوع الذي أسميته: (تمييز المشكل وبيان المعضل في مدح التصوف وزهاد الصوفية). والهدف منه توجيه ثناء علماء أهل السنة على التصوف والصوفية وبيان مرادهم من لفظ التصوف؛ والفئة المخصوصة من الزهاد الذين مدحوهم، ومعرفة ما كانوا عليه من عقيدة صحيحة، وفي ذلك رد على شبهات الصوفية، الذين يضللون الناس بمدح الأئمة للزهاد، ويتضح ذلك بذكر أبرز ما توصلت إليه من نتائج وهي:

١. أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اختلاف الأمة وما يكون فيها من فرق كثيرة مخالفة للحق.
٢. أن في السنة النبوية أحاديث مخصوصة بظهور فرق معينة، أو ببعض مخالفاتها واعتقاداتها.
٣. أن ذم التصوف والنهي عن أصل غلوهم في الزهد والتعبد، واضح جداً في حديث الرهط الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليهم وسلم.
٤. أن حديث الرهط يدل على التصوف من حيث وقوعهم في البدع. واعتقادهم أن الولي يمكن أن يجتهد في التعبد، فيصل إلى مراتب أعلى مما وصلت إليه الأنبياء

عليهم السلام.

٥. أن اعتقاد الصوفية بتفضيل الأولياء على الأنبياء معروف، وله ارتباط بغلوهم في التعبد والرياضة، ومزايداتهم في الكرامات.

٦. أن من ينكر الاعتقادات الباطلة من المتصوفة المعاصرين لا ينفك عنها لإجماعهم على تولي أربابها كابن عربي والحلاج وأمثالهما.

٧. أن الزهد الذي يزعمه المتصوفة والتعبد الذي يفعلونه، لو كان موافقـًا للسنة! فما وجه النهي الوارد في حديث؟ ولا احتاج التصوف أن يشق طريقـًا ويختار له اسمـًا.

٨. استدل الصوفية بأحاديث صحيحة بعيدة الاستدلال وضعيفة وموضوعة في تأصيلهم للصوف.

٩. أن من المسائل المشكلة نقل تعاريف الصوفية والإسهاب في اشتقاق لفظه دون نقد.

١٠. يصحح الصوفية اشتقاق اللفظ من نسبته لأهل الصفة أو لصفا قبلوبهم، لإعلاء شأن التصوف.

١١. أن معظم تعاريف التصوف منقولة من كتب الصوفية وأقوالهم وحكاياتاهم وهي تحمل المدح الذي يحتاج إلى نقض.

١٢. أن من المسائل المشكلة عدم تحرير المنقول والوقوف على صحته وسنده ومصدره، وذلك في تزكية الصوفية ومدحهم، وفي أقوالهم، وتعاريفهم.

١٣. من المشكل عدم تفريق بين المصطلحات الشرعية وبين ألفاظ التصوف وأركانه.

١٤. أن أركان التصوف تظهر غلو الصوفية في تلك المعاني التي بها يصبح الصحيح

سقيمـًا والعاقل مجنونـًا والعابد راهبـًا، والمسلم عن الحق مبتعداً ومبتدعـًا..

١٥. أن التصوف غير الزهد وفيه زيادة عليه، إذ يتضمن اعتقادات وعبادات وسلوكيات مخالفة لما في الكتاب والسنة.

١٦. أن الفقر عند المتصوفة فيه دعوة لترك العمل، مع تعمد إظهار الفقر، والسعي لنيل شرفه، وليس من باب الرضا بما قضى الله تعالى.

١٧. من المشكل مدح التصوف وقبول لفظه بحجة عدم المشاحة في الاصطلاح وقد اشترط العلماء لهذه القاعدة ما يتناقض مع التصوف، من عدم تضمنها لمخالفة شرعية، وألا يترتب على الاصطلاح مفسدة.

١٨. أن سبب مدح التصوف ترجع إلى إظهارهم التعبد، والزهد، ولموافقة الزهاد الأوائل لمذهب السلف، وهي تحتاج إلى وقفات.

١٩. أن تعبد الصوفية مختل الأركان إذ ينكرون أن يكون تعبدهم رجاء ما عند الله أو خوفـًا من عذابه.

٢٠. أن من المشكل مدح الزهاد مطلقـًا دون بيان ما وقعوا فيه من أخطاء، لأنه يلبس على كثير من الناس، لما يُشعِر من مدح التصوف.

٢١. أن الأقوال المنقولة عن الأئمة في مدح التصوف منها ما هو مكذوب عليهم، وما صح لم يفهم منه مرادهم بلفظ التصوف، ومرادهم بلفظ الصوفية.

٢٢. لم يثبت لديَّ أن أحداً من الأئمة الأربعة مدح الصوفية. وقد يُمْدَح التصوف الذي هو الزهد والتعبد، دون مدح الصوفية.

٢٣. أن المشكل في كلام أعلام أهل السنة عن التصوف، شبه يذكرها المتصوفة، وتخريجها إما مدحـًا للزهاد الذين وافقوا السلف في عقيدتهم، أو نقولاً عنهم في

معتقد متفق عليه مثل الكرامات.

٢٤. من المسائل المشكلة في كلام الأئمة نقل أقوال الصوفية دون نقدها. بل في بعض الأحيان تحمل على الظن الحسن، ويُجتهد في تخريجها على معنى يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة.

٢٥. أن إطلاق الصوفي على كثير من المشايخ المتقدمين، إذا كان في سياق المدح يراد به الزاهد والعابد أو المنتسب والمنسوب والمعدود في جملة الزهاد.

٢٦. أن المدح مقصور على فئة معينة في زمان معين بحسب ما رأى من مدحهم من الأئمة لصلاحهم واتباعهم للسنة.

٢٧. أن التصوف في نشأته الأولى كان يطلق على العباد والزهاد، ولم تكن لهم جماعة، ولم تظهر الطرق التي تلبست بالبدع والشرك؛ وإنما كانوا مثل ما يقال متدين ومطوع وملتزم.

٢٨. أن مدح ما كان عند الصوفية من أخلاق وتعبد هو من وسطية أهل السنة والجماعة وإنصافهم مع المخالفين لهم من الفرق وأربابها، حيث يثبتون لهم فضلهم ويمدحونهم فيما صح من معتقداتهم ودفاعهم عن الإسلام، ويذمون ما عندهم من مخالفات وباطل، وفي بعض الأحيان يلتمسون العذر لهم.

٢٩. أن من القواعد المقررة مع المخالفين أن يكون المدح من وجه والذم من وجه آخر.

٣٠. أنه لا يمدح التصوف على أنه تصوف وإنما يمدح ما وافق الكتاب السنة ولا يرد الموافق من التصوف لمجرد الاسم، وإن كان اسم الصوفية والانتماء لهم باطل.

٣١. من المسائل المشكلة إدراج مطلق الصوفية في أهل السنة والجماعة، لوجود

التنافر في بدع التصوف بين السنة، ومخالفة الصوفية لمفهوم الجماعة ومفارقتهم لها، وهم فرق وطوائف.

٣٢. أن مفهوم أهل السنة والجماعة لا يمكن أن يدخل فيه من لا يقيم التوحيد الخالص لله تعالى ولا يثبت الصفات كالعلو والاستواء، وفي البدع غارقون.

٣٣. لم يثبت عن أحد من علماء أهل السنة تقسيم التصوف إلى سني وبدعي، وإنما التقسيم لرجال التصوف منهم من كان على السنة ومنهم من كان بالبدع متلبساً.

٣٤. أن مدح طائفة من الصوفية وافقت أهل السنة والحديث؛ لا يعني تقسيم التصوف محمود ومذموم أو الإقرار به.

٣٥. أنه لا يجوز أن يقال تصوف إسلامي كما لا يقال فكر إسلامي، لكونهما قابلان للأخذ والرد والتصوف فيه باطل لا يضاف إلى الإسلام، ويصح قول مفكر إسلامي وصوفي مسلم.

٣٦. إذا كان إطلاق لفظ تصوف إسلامي بمعنى الذي نشأ في الإسلام، ومن باب التمييز له عن التصوف النصراني أو التصوف اليهودي أو البوذي فلا إشكال فيه -فيما أرى- لأنه يدل على وجود وجوه من التشابه.

٣٧. من المسائل المشكلة زعم الصوفية أن كل الزهاد صوفية، حيث أدخل بعضهم في اسم التصوف الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم.

٣٨. من المسائل المشكلة إطلاق المدح على الزهاد وعدم نقد من أخطأ منهم.

٣٩. أن ثناء الأئمة على الجنيد ليس مطلقاً، ولا ينفي ما عنده من بدع، وهو ليس ثناء على التصوف، وإنما من الإنصاف والعدل لما عنده من العلم وصحة الاعتقاد.

٤٠. أن ثناء أهل العلم على الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد اشتهر عنه التصوف

والزهد والسياحة والخروج إلى البرية وهذا الطريق الذي سلكه لا يمدح بإطلاق لعدم فعل الصحابة رضوان الله عليهم له.

٤١. أن إطلاق المدح على زهاد الصوفية فيه مدح للتصوف وتزكية له ودعوة إليه، وتلبيس على العامة الذين يقيسون مشايخهم بأولئك الزهاد.

٤٢. أن أهل العلم فرَّقوا بين العقيدة الصحيحة، والعقائد الباطلة عند الصوفية؛ وبين أصحاب الاعتقاد الصحيح وأهل الحلول والاتحاد من المنتسبين للتصوف.

٤٣. أن استعمال أهل العلم لألفاظ: جهال الصوفية، وضلال الصوفية، وغلاة الصوفية، أو التبعيض في نسبة العقائد الباطلة للصوفية. دليل على وجود الجهل والضلال والجُهَّال والضُّلَّال في الصوفية.

٤٤. أن من المشكل في إطلاق المدح على الصوفية وعدم التمييز بينهم، يدخل فيه الملاحدة أصحاب العقائد الباطلة والأقوال الكفرية.

٤٥. أن عامة الصوفية اليوم يتبنون العقائد الباطلة، ويوالون الملاحدة أصحاب الاتحاد والحلول، ويفرون من العقيدة الصحيحة والتوحيد وسلامة المنهج، وما كان عليه أهل الزهد المتمسكين بالكتاب والسنة.

التوصيات:

- يوصي الباحث بعقد مؤتمرات في توحيد الأمة على منهج السلف الصالح ورفض جميع الأحزاب والطوائف والمسميات.
- التركيز على منهج الوسطية في الدعوة والتعامل مع الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة.

هذه أهم ما في البحث من نتائج وتوصيات، وأسأل الله الهداية والثبات على الحق، وله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة. والصلاة والسلام على من بعثه للخلق كافة معلمـاً ومبشراً ومنذراً وسراجـاً منيراً.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١) .

---

(١) سورة الصافات : الآيات رقم ١٨٠ – ١٨٢

فهرس المصادر والمراجع

- ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ٤، ١٣٩١هـ.
- ابن الأثير الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. تحقيق: عبد الله القاضي.
- ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دار صادر، بيروت، ط/ ١، ١٣٥٨هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **الموضوعات**، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي، (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، طبعة ١٤٠٦هـ، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرناؤوط.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، تحقيق محمد حامد الفقي.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط/ ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق: هشام عطا، وعادل العدوي وأرف أحمد.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق عمر بن محمود.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ابن الملقن، سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري، (ت٨٠٤هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، دمشق، دار النوادر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ابن الملقن، سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري، (ت٨٠٤هـ)، طبقات الأولياء، بدون طبعة.
- ابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي، في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال القرطبي، (ت٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، الرياض، ط/ ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. تحقيق: ياسر بن إبراهيم.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الحنفي (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بدون.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط/ ٢، ١٣٦٩هـ. تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط/ ١، ١٤٠٣هـ. تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح، لمن بدل دين المسيح، دار الفضيلة الرياض، ط/ ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. تحقيق: علي بن حسن الألمعي وغيره.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الصفدية، مصر، ط/ ٢، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط/ ١، ١٣٨٦هـ. تحقيق حسنين مخلوف.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الفتوى الحموية الكبرى، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، دار الفضيلة، الرياض، تحقيق: د. عبد الرحمن اليحيى.

- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، كتاب النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، الوصية الكبرى، بدون.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط/ ١٣٩٢هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ. تحقيق: محمد رشاد سالم.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، رسالة في الصوفية والفقراء، بدون طبعة.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، رسالة في حقيقة مذهب الاتحاديين القائلين بوحدة الوجود، بدون.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥هـ، تحقيق: أنور الباز وعمر الجزار.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، مجموعة الرسائل والمسائل، لجنة التراث العربي، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا.

- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، مؤسسة قرطبة، ط/١، ١٤٠٦هـ. تحقيق: د.محمد رشاد سالم.
- ابن جرير، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ط/ ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي (ت٣٥٤هـ)، الثقات، دار الفكر، ط/ ١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي التميمي (ت٣٥٤هـ)، الثقات، دار الفكر، ط/ ١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، تحقيق وتعليق: عبد العزيز ابن باز، ومحب الدين الخطبيب. وبوبه محمد فؤاد عبد الباقي.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، المعجم المفهرس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، تحقيق: محمد شكور المياديني.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة. بدون تأريخ.
- ابن حيان الضبي، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الغبي البغدادي، الملقب وكيع (ت٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، تحقيق: عبد العزيز المراغي.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ). المقدمة تاريخ ابن خلدون، بدون.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت٨٠٨هـ). تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، بدون طبعة وتاريخ.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، تحقيق: إحسان عباس
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، الطبغة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، بدون طبعة وتأريخ.
- ابن عاشر، أبو محمد عبد الواحد ابن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، مكتبة القاهرة، بدون.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، (ت٤٦٣هـ)، الاستذكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: سالم عطا، ومحمد معوض.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، (ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ لما في المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ. تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري.
- ابن عثيمين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣ هـ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة، (ت١٢٢٤هـ). إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، بدون.
- ابن عربي، أبو بكر محيي الدين محمد بن علي ابن عربي الطائي الأندلسي، (ت٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، بدون طبعة.
- ابن عربي، محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الطائي، (ت٦٣٨هـ)، التجليات الإلهية، ومعه تعليقات ابن سودكين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري.
- ابن عربي، محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الطائي، (ت٦٣٨هـ)، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، تعليق: د. أبو العلا عفيفي.
- ابن عطاء الله السكندري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٧٠٩هـ)، لطائف المنن، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة ٢٠٠٦م، تحقيق: د. عبد الحليم محمود.
- ابن قاضي شهبة، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن قاضى شهبة، (٧٩٠هـ)، طبقات الشافعية، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٧ هـ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تأريخ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر طبعة جديدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: محمود حسن.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ابن مفلح، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي(ت٧٦٣هـ)، كتاب الفروع وتصحيح الفروع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ. تحقيق: حازم القاضي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ..
- أبو العباس القرطبي، أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، بدون طبعة.
- أبو الوفاء التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، السنن، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي المكي، (ت٣٨٦هـ)،قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، تحقيق: د.عاصم الكيالي.
- أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين السلمي، (ت٤١٢هـ)، طبقات الصوفية، بدون طبعة.

- أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز البكري، (ت٤٨٧هـ)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م، تحقيق: إحسان عباس.
- أبو علي مسكويه الأصفهاني، أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصبهاني، الهوامل والشوامل سؤلات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: سيد كسروي.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ٤، ١٤٠٥هـ.
- إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت١٤٠٧هـ)، دراسات في التصوف، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الإسفرائيني، طاهر بن محمد (ت٤٧١هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، تحقيق: كمال الحوت.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودري (ت١٤٢٠هـ)، أحكام الجنائز، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودري (ت١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، دار المعارف، بدون.

- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٤٦هـ)، التاريخ الكبير، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت٢٤٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، القاهرة، دار الشعب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. حسب ترقيم فتح الباري.

- البديعي، يوسف البديعي الحلبي الدمشقي (ت١٠٧٣هـ)، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، بدون طبعة.

- البرعي السوداني، عبد الرحيم بن محمد وقيع الله، ديوان رياض الجنة ونور الدجنة، مركز الأسباط، الخرطوم، الطبعة الخامسة، ٢٠١٢م. تحقيق: عبد الرحيم حاج أحمد.

- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط/ ٢، ١٩٧٧م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تفسير البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن" دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، (ت١٠٥١هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال.

- البوصيري، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، (ت٨٤٠هـ)، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، دار الجنان، بيروت.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، دار الكتب العمية بيروت، ط/ ١، ٢٠١٠م. تحقيق: محمد السعيد زغلول.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، مناقب الشافعي، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، السنن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة ، ١٩٩٨م. تحقيق بشار معروف.
- التكروري التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه التنبكتي السوداني (ت١٠٣٦هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة.
- التلمساني، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة ١٩٩٧م. تحقيق: إحسان عباس.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم الجبرتي (ت١٢٣٧هـ)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٥هـ. تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- الجيزاني، د. محمد حسين الجيزاني، قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، مجلة الأصول والنوازل، العدد الثاني، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- الجيلاني، أبو محمد عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت٥٦١هـ)، فتوح الغيب، مركز الإعلام العالمي، داكا، بنغلاديش، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، تحقيق: د.جمال الدين الكيلاني.
- الجيلاني، عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت٥٦١هـ)، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: صلاح عويضة.
- الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي (ت٨٣٢هـ)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: صلاح عويضة.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- الخضير، عبد الكريم بن عبد الله الخضير، شرح متن الورقات في أصول الفقه، بدون طبعة.
- الذهبي، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
- الذهبي، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: د. عمر تدمري.
- الذهبي، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط/ ٣ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الذهبي، الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال، للإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق: علي محمد البجاوي.

- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله، شرح المختار في أصول السنة لابن البنا، بدون طبعة.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ، تحقيق: علي سامي النشار.
- الرحيباني، مصطفى السيوطي الرحيباني (ت١٢٤٣هـ)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦١هـ.
- الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة دار الهداية، مجموعة من المحققين.
- الزركلي، خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار الطلم للملايين، ط/ ١٥، ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، دار المعرفة، لبان، ط/ ٢، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل.
- السبكي، تاج الدين بن علي السبكي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. محمود الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- السهروردي، شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد، (ت٦٣٢هـ)، عوارف المعارف، بدون طبعة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ)، التوشيح شرح الجامع الصحيح، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، تحقيق: رضوان جامع رضوان.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، (ت٧٩٠هـ)، الموافقات، دار ابن عفان،الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. تحقيق: مشهور بن حسن.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، (ت٧٩٠هـ)، الاعتصام، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي.
- الشعراني، عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، (ت٩٧٣هـ)، الطبقات الكبرى "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"، بدون طبعة.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق القول في علم الأصول. دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي.
- الشيخ الأمين محمد الحاج، رسالة في الشيخ عبد القادر الجيلاني المفترى عليه، بدون طبعة.
- الشيخ عبد الله الفوزان، خلاصة الأصول، بدون طبعة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢ هـ)، إسبال المطر على قصب السكر، (نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢ هـ)، قصب السكر على نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، بدون طبعة.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط/ ٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م. تحقيق: حمدي السلفي.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي (ت٣٢١هـ)، متن العقيدة الطحاوية، دار الداعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ، إشراف د. محمد لقمان السلفي.
- الطوسي، أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، (ت٣٧٨هـ)، اللمع في التصوف، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ت: د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت٧٤٣هـ)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح "الكاشف عن حقائق السنن"، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (٢٦١هـ)، معرفة الثقات، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تحقيق: عبد العظيم البستوي.

- العقل أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في العقيدة، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- العقل، أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، بدون.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي، (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، نسخة ملتقى أهل الحديث.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،(ت٥٠٥هـ)، المستصفى في علم الأصول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر.
- الغماري، عبد الله محمد الصديق، حسن التفهم والدرك لمسألة الترك، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الفتحي، محمد بن محمد بن عبدالله المراكشي، الحبل المتين نظم المرشد المعين، طبع بالمغرب، بدون تاريخ.
- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، (ت٥٤٤هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، دار الوفاء، مصر، ط/ ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. تحقيق: د. يحيى إسماعيل.
- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، (ت٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، بدون طبعة.
- القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، ومؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تفسير القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري القزويني (ت٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، بدون طبعة.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، (ت٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: د.عبد الحليم محمود ود. محمود الشريف
- القيسي، د. مروان بن إبراهيم القيسي، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي (٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- المحمود، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد، الرياض.
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، تحقيق: د. بشار معروف.
- المكتوبات الربانية للسرهندي
- الملا علي القاري، علي بن سلطان محمد الهروي، (ت١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بدون طبعة.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات

التعاريف، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط/ ١، ١٤١٠هـ. تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

- النسائي، أحمد بن علي بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط/ ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
- الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري الغزنوي (ت٤٩٢هـ)، كشف المحجوب، دراسة وترجمة دكتورة إسعاد قنديل، مكتبة الإسكندرية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الهروي، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت٤٨١هـ)، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- بكر أبو زيد، بكر بن عبد الله، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني "كاتب جلبي" (ت١٠٦٧هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مكتبة إرسيكا، تركيا، طبعة ٢٠١٠م. تحقيق: محمود الأرناؤوط.
- زروق، أحمد بن أحمد البرنسي المغربي (ت٨٩٩هـ)، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة ، دار البيروتي، دمشق، ط/ ١٤٢٤،١هـ/ ٢٠٠٤م.

- صادق، د. صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- صفي الدين الهندي، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (ت٧١٥ هـ)، نهاية الوصول في دراية الأصول، المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق: د. صالح بن سليمان اليوسف، د. سعد بن سالم السويح.
- عمر كحالة، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون.
- فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، موقع السلفيين الأتراك، بدون طبعة.
- قاسم، قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة، التفسير، الطواسين، بستان المعرفة، نصوص الولاية، المرويات، الديوان، رياض الريس للكتب والنشر، ومكتبة الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- محمد بن أحمد الأنده وي (الأدنروي) (ت١٠٣٣ أو ١٠٩٥هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. تحقيق سليمان الخزي.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

فهرس الموضوعات